خَوَاطِر سياسيّة

2010

Political thoughts

الطّاهر اعمارة الأدغم

Tahir Amara Ladghem

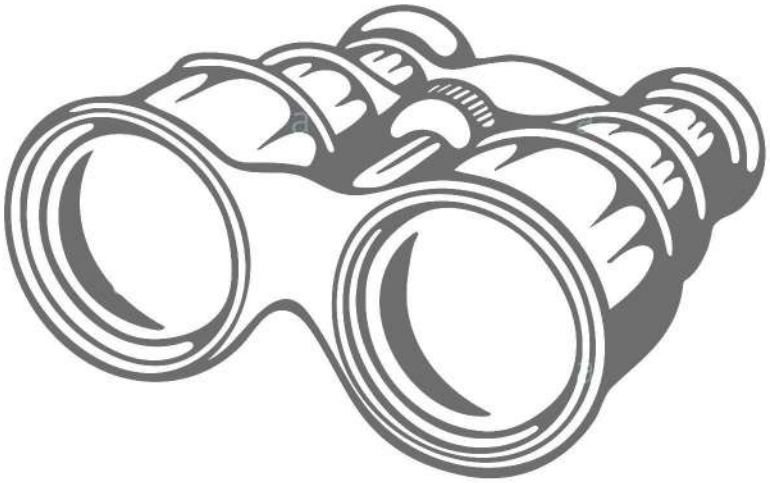

خَوَاطِر سياسيّة
2010
Political thoughts

الطّاهر اعمارة الأدغم

Tahir Amara Ladghem

عنوان الكتاب

خَوَاطِر سياسيّة
2010
Political thoughts

الطّاهر اعمارة الأدغم

Tahir Amara Ladghem

ردمك

ISBN:978-9931-798-64-4

الإيداع القانوني:

سبتمبر 2021

الطبعة الأولى

تصميم الغلاف

كمال خزان

الطباعة

للطباعة والنشر والتوزيع

سامي

جميع الحقوق محفوظة © 2021

ولاية الوادي - الجزائر

032 14 93 39

imprimerierimel39@gmail.com

الموضوع الرئيسيّ: سياسيّ

عدد الصّفحات: 126 صفحة

قياس الصّفحة: 14,5 سم * 20,5 سم

صَفَر 1443هـ / سبتمبر 2021 م

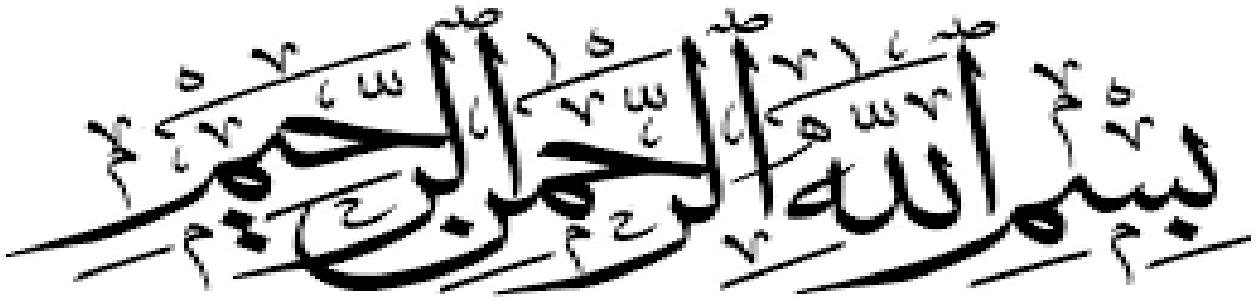
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

.

.

.

.

.

.

إلى عشّاقِ القَلَم...

النَّظِيف...

الرِّسالَيّ...

الجَري ء...

مقدّمة

إنّها مقالاتٌ ظَهَرتْ إلى النُّورِ عام 2010...

تأمّلاتُ وخواطرُ مواطنٍ جزائريٍّ ينظرُ إلى العالَم من حوله، ومن ثمّ ينشرُ كلماته في جريدة ليست الأُولَى أو الثّانية، أو حتّى العاشرة، في (جزائر الجرائد) حين أدمنت الحكومةُ، أو عصابة الحكم بالأحرى، سياسةَ التّشويشِ الصّحفيِّ من خلال التّشجيع (الخبيث) على صدورِ أعدادٍ كبيرةٍ من الجرائدِ اليوميّةِ والأسبوعيّة.

كانت النّظرةُ السّطحيّةُ السّريعةُ والخادعةُ تقولُ: نحن نعيشُ طفرةً غير مسبوقةٍ في حرّية الصّحافة والإعلام..!!

لكنَّ النّظرةَ العميقةَ تصيحُ في عقولنا ونفوسنا: أنتم ترزحون تحت آلامٍ ودماءٍ مذبحةٍ حقيقيّةٍ لهذا القطاع الحيويّ، حيث يُوَزّعُ الصّحفيّونَ والكتّابُ على كمٍّ هائلٍ من الجرائد..!!؟؟؟

وحِينَهَا، وهذا ما حَدَثَ فعلاً: لا مؤسّسةً إعلاميّةً كبيرةً يمكنُ أن تَتَبَلْوَرَ وترى النّورَ الحقيقيّ، ولا منافسةً حقيقيّةً يَعرفُهَا الصّحفيّونَ ويتذوّقونَ طَعْمَها وحلاوَتَها؛ فصحافةٌ بلا منافسةٍ لا طعمَ ولا لونَ ولا رائحةَ لها في الغالب.

كان الإشهارُ الرّسميُّ قد تحوّلَ على يدِ رئيسِ الوزراءِ أحمد أويحيى إلى سيفٍ صارمٍ على رقاب المؤسّسات الإعلاميّة، وذلك بعد أن أصدرَ قرارَه الحاسمَ بِأَنْ يكونَ مسارُ الإشهارِ الصّادرِ عن المؤسّساتِ الحكوميّةِ والإداراتِ الرّسميّةِ عبر المؤسّسةِ الوطنيّةِ للنّشرِ والإشهارِ (ANEP).

عبر تلك المؤسّسة الرّسمية وَحْدَهَا، وفَقَطْ..

تتلقّى الـ (ANEP) المادّةَ الاشهارية وتوزّعها بطريقتها الخاصّة على الصّحف اليوميّة والأسبوعيّة.. ولَكَ أَنْ تَضَعَ أكثرَ من خطٍّ تحت (طريقتها الخاصّة).

وقبل ذلك: كان في الأمرِ شيءٌ من اليُسْر، ففي وسع المؤسّسات والإدارات التّعاملَ مع الجرائد مباشرة أو عبر الوكالات والمكاتب الوسيطة.

كانت الـ (ANEP) مثل وكالات الإشهار الخاصّة، التّي وصلَ عددُها إلى نحو ألفٍ وخمسمائة وكالةٍ في كلّ مناطقِ وولاياتِ الوطن..

كانت الـ (ANEP) تتنافسُ مع الوكالات الخاصّة على الإشهار العموميّ.. حتّى جاءت تعليمةُ أحمد أويحى فقضت على هذه الوكالات لأسباب سياسيّة..!!

وصارَ رِيعُ الإشهارِ العموميّ يصلُ في الغالبِ إلى الجرائدِ التّي تخدمُ سياسَة السّلطةِ القائمةِ في تلك السّنوات.

والتّشويشُ الإعلاميُّ هو نسخةٌ مكرّرةٌ (بجرأةٍ ووقاحةٍ) عن المشهدِ السّياسيّ والجمعويّ، حين أُتِيحَ الأمرُ أمام كلّ من هبّ ودبّ لإنشاءِ حزبٍ سياسيٍّ أو جمعيّة، ومن ثمّ التّظاهر بحريّة لا حدودَ لها..!!

لكنّ النتيجةَ: فوضى (غير خلاّقة) غطّت على محاولاتِ صناعةِ مجتمعٍ سياسيٍّ ومدنيّ جادّ.

والوضعُ السّليمُ في هذا السّياق هو ضمانُ مؤسّسات الدّولة للحرّيات السّياسيّة والإعلامية، وفي الوقت ذاته: سعيٌ دائمٌ لإرساء ضوابط ومحدّدات وأعراف

تمنعُ التّسلّلَ أو التّسلّق، وتردُّ الفارغين والانتهازيّين والوصوليّين على أعقابهم، ومن ثمّ الحيلولة دون بلوغهم أماكنَ ومواقعَ ليست على مَقَاسِهِم.

نعم.. تَرُدُّهُم على أعقابهم، ولهم كاملُ الحريّة في أن يكرّروا المحاولةَ بعد حيازتهم للمؤهّلاتِ والشّروطِ اللاّزمة، ولو في حدّها الأدنى.

سنواتٌ شهدت فيها الجزائرُ مهازلَ صحفيّة بأتمّ معنى الكلمة.. فكلّ من وصلَ إلى خيطٍ يضمنُ له صفحةَ إشهارٍ، أو حتّى نصفَها أو رُبْعَها، أسّسَ جريدةً يوميةً أو أسبوعيةً في شقّةٍ سكنيّةٍ تضيقُ بأُسْرَةٍ ناشئةٍ تتكوّنُ من الزّوجِ والزّوجةِ فقط..!!

وفقدت السّاحةُ الصّحفيّةُ حينها الحدَّ المعقولَ من الشّروطِ والضّوابطِ والقواعدِ التّي تُؤّسّسُ لما يصحُّ أن يُطلقَ عليه جريدةٌ يوميةٌ أو أسبوعيّة: من حيث الطّاقم الصّحفيّ وخبراته، والإدارة وكفاءاتها، والإمكانات المّادية وما شابهها.

ولم يَسْلَمَ من ذلك الهبوط الإعلاميّ الحادّ سوى عددٌ محدودٌ من الجرائد.

وعودةٌ إلى أصل الحكاية:

صار الإشهارُ الرّسميُّ الموجّهُ أداةً للتّرهيب والتّرغيب.. العَصَا والجَزَرَة..

.....

ولا يعني ما سَبَقَ أنّ جميعَ من انخرطَ في لعبةِ التّشويشِ الإعلاميّ من ذَوِي النّياتِ والمقاصدِ السّيّئة، فأعدادٌ من الصّحفيّين الشّرفاء والمهنيّين وجدوا أنفسَهم في الطّابور، ولا طاقةَ لهم بالتّقدّم أو التّأخّر أو الخروج من دائرةِ اللّعبَةِ المرسومةِ بعنايةٍ ومَكْرٍ شَدِيدَيْن..!!

فاللّعبةُ كانت أكبرُ من الجميع إلاّ من عَصَمَه الله..

وجريدتُنا المُشَارُ إليها في البداية كانت في هذا السّياق، فهي جريدةٌ بدأت أسبوعيةً ثمّ تحوّلت إلى يوميّة، وصاحبُها صحفيٌّ طيّب القلب عفّ اللّسان، كان قد ناضلَ وتعبَ كثيرا بحثًا عن الرّزق في أكثر من صحيفة، وعاني كما عانى الصّحفيّون من وَيْلاَتِ العشريّةِ الحمراء حين تعَدَّدَ أعداءُ الصّحافة والصّحفيّين.. وعانى الزّملاءُ الأخيارُ من تراكمِ الألغازِ المحيّرةِ التّي أحاطت بعمليّاتِ التّضييقِ والمطاردةِ والتّصفيةِ النّفسيّة والجسديّة...؟؟؟

كان شابًا وطنيًا مهنيًا، لكنّه سارَ كما سارَ كثيرون على دربِ تأسيسِ الجرائدِ الخاصّةِ طمعًا في التّخلّصِ من التّبعيّة الماديّة، وسعيًا للتّوبةِ من الجريِ بين جرائد تفنّنَ بعضُها في استغلال الصّحفيّين والإساءة إليهم ماديًا، وعجز البعضُ الآخر عن إنصافهم عبر تقديم رواتبَ ومزايَا مناسبة تحفظُ ماءَ الوجهِ وتعينُ على العملِ بصدقٍ ومهنيّةٍ ومثابرةٍ ونشاطٍ وإبداع.

.....

حاولَ الشّابُّ أن يكتبَ الجديدَ والمفيدَ.. فهل نجحَ في ذلك..؟؟ لا أَدْرِي...

لكنّني أُدْرِكُ، وكثيرون غيري، أنَّ الجريدةَ تَسْبَحُ في خضمّ ذلك البحر المتلاطم من الجرائدِ اليوميّةِ والأسبوعيّةِ التّي تقعُ عليها العينُ في الأكشاكِ والمكتباتِ، وعند البَاعَة الذّين يفترشون البُسُطَ في عددٍ من الشّوارعِ والسّاحاتِ الرّئيسيّةِ في العاصمةِ والمدن الكبرى، وأمامهم عددٌ كبيرٌ من اليوميّات والأسبوعيّات والملاحق وما شابه..!!!

ورسالةُ هؤلاء الباعة وما معهم من جرائد: أيّها القارئ ماذا تقرأ، وماذا تترك...؟؟

في تلك الجريدة، وفي فوضى الجرائد، حاولتُ أن أقولَ شيئًا عن العالَم الذّي نعيشُ فيه، سواء القريب منه أو البعيد.

كنتُ أسكنُ في أطرافِ العاصمة، وأزورُ الجريدةَ من حين لآخر، وأداومُ على كتابة مقالي الاسبوعيّ.

وكان رئيسُ التّحرير، صاحب الجريدة سالف الذّكر، يعلّقُ من حين لآخر بأنّ أصداءَ تَصلُه حول جريدته الوليدة، وكيف بدأت تحجزُ لنفسها صدًى إعلاميًا، وكنتُ أقابلُ كلامَه بابتسامة تشجيع، وفي داخلي تساؤلاتٌ حادّةٌ عن حجمِ التّحدّي، وفظاعةِ الأزمةِ الموجّهةِ التّي تعيشُها الصّحافةُ في بلادنا..؟؟

المقالاتُ كما هي، وأَسْعَى دائمًا لأظلَّ أَنَا، وأعبّرُ عن نفسي من خلالِ قَلَمِي في ذلك الزّمان والمكان... في ثَنَايَا تلك الملابسات والظّروف ودرجةِ الوعي والمتابعةِ المتاحة.

ولا أحبُّ أَبدًا ذلك النّوعَ من السّطوِ أو الادّعاءِ، عندما (يُظْهِرُ البعضُ الحكمةَ بأثرٍ رجعيّ)..

الطاهر اعمارة الأدغم

وادي سوف، الجزائر

12 جويلية، يوليو، 2021م

الفاتح من ذي الحِجَّة 1442هـ.

أين السّيادة يا سادة..؟

أكثرُ القوافل والوفود التّي قصدت قطاعَ غزّة المحاصر عانت من تلك الحرب النّفسيّة المنظّمة التّي تشنّها جهاتٌ مصريّةٌ مسؤولة، في محاولةٍ يائسةٍ لزرع اليأسِ والقنوطِ أمام أيّ محاولةٍ جديدةٍ للتّواصلِ الخارجيّ مع الفلسطينيّين في القطاع، وفكّ الحصارِ الظّالِم المضروبِ عليهم، ولو بشكل رمزيّ.

تلك الحرب النّفسيّة أخذت وتأخذُ أشكالا متعدّدة، وتقوم على مراحل تبدأ بتأشيراتِ الدُّخول وتصريح المرور إلى معبر رَفَح، وتمتدُّ بعد ذلك إلى التّضييق أثناء الخروج من قطاع غزّة لمغادرة الأراضي المصريّة.

ومؤخّرًا تطوّرت تلك الحربُ، مع قافلة شريان الحياة الثّالثة، إلى مشادّات سقط فيها جرحى من بين أولئك الشّباب والرّجال والنّساء الذّين قَطَعُوا آلاف الأميال، وانتظروا لأيّامٍ طويلةٍ ليدخلوا إلى قطاع غزّة، ويوصلوا ما حملته أيديهم من أدوية، ومواد إغاثة، ويقولوا للصّامدين الصّابرين هناك إنّ الأغلبيّة في هذا العالَم الواسع معكم، وإن ظلّت مقهورة غائبة عن المشهد بفعل الآلة الإعلاميّة الغربيّة الضّخمة التّي تُدير الحربَ الدّعائيّةَ على الصّامدين المُمَانِعين.

لقد كان آخرُ مسلسلات الحرب النّفسيّة المصريّة إذن هو ما شاهده العالمُ أجمع مع قافلة شريان الحياة الأخيرة التّي قادَها النّائب البريطانيّ جورج جالاوي، وضمّت عددا كبيرا من المتضامنين والنّاشطين، بينهم سبعة عشر نائبًا برلمانيًا تركيا، وكانت الحلقاتُ الأخيرة من ذلك المسلسل المصريّ، الذّي جمع بين السّخافة والفظاعة والغباوة السّياسية، قد تزامنت مع وصولِ قافلةِ شريان الحياة إلى ميناء العقبة الأردنيّ..؟؟ وكانت الخطوة التّالية، التّي لم تتمّ، هي الوصول عبر عبّارَة مصريّة إلى ميناء النّويبَع المصريّ، ثمّ تواصلُ الرّحلةُ طريقَها برّا إلى معبرِ رَفَح الحدوديّ مع قطاع غزّة.

لقد كانت الحلقاتُ الأخيرةُ أكثر إثارةً للمشاعرِ، خاصّة عندما كان الرّسميّون المصريّون يتحدّثون عبر وسائل الإعلام، ويبرّرون تصرّفاتِهم العَرْجَاء التّي باتت واضحةً للعيان وأعلنت بلسان الحال أنّها لا تهدفُ إلاّ إلى عرقلةِ مسار قافلة شريان الحياة، والتّضييق عليها بشتّى الطّرق لتصلَ إلى قطاع غزّة منهكةَ القوى، وتكونُ عبرةً لكلّ من يفكّرُ في تسيير قوافل أخرى من هذا النّوع..!!

لقد وصلت القافلةُ إلى سوريا ثمّ الأردن، واستقبلَها الآلافُ من أنصار السّلام وحقوق الإنسان، وظنَّ المنظّمون أنّهم قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى من دخول شبه جزيرة سيناء المصريّة عبر ميناء النّويبع، لتأتيهم المفاجأةُ الصّاعقةُ بأنّ عليهم العودةَ على أعقابهم وقَطْعِ مسافات طويلة أخرى عن طريق البرّ في الأردن وسوريا حتّى يصلوا إلى ميناء اللاّذقيّة، ويُبْحِرُوا من هناك عبر البحر المتوسّط ليصلوا إلى ميناء العريش المصريّ، لأنّ السّلطات المصريّة، كما أدّعت، كانت قد حدّدت هذا المسارَ من البداية مع منظّمي القافلة..!

ومع أنّ الأمرَ كان ثقيلاً، ويكلّفُ القافلةَ مزيدا من النّفقات التّي ينبغي أن تصلَ إلى أهل غزّة المُحَاصَرِين، فقد انصاعَ المنظّمون للأمر مُكْرَهِين، وولّوا وجوهَهم شَطْرَ اللاّذقية ومنها واصلوا الرّحلةَ إلى العريش، وحدثَ هناك ما حدثَ من صداماتٍ وإهاناتٍ ونقصٍ حادٍّ في خدمات الميناء..!!

وصَبَرَ الجميعُ حتّى وصلت القافلةُ إلى القطاع المُحَاصَر، وكان عليها أن تعود خلال ثمانٍ وأربعين ساعة حسب التّعليمات المصريّة التّي استكثرت، على ما يبدو، أن يمكثَ المتضامنون وقتًا أطول مع الشّعب الفلسطينيّ المُحَاصَر.

يمكننا تصنّعَ الغباء، وابتلاعَ بعض تصريحات الرّسميّين المصريّين حول موقفهم من قافلة شريان الحياة، لكنّ الذّي كان يثيرُ الغثيان هو تلك اللاّزمة التّي ظلّ يكرّرها أولئك الرّسميّون حول السّيادة المصريّة، وأنّ هذا الموقفَ أو ذاك قرارٌ سياديّ، وأنّ لهم كاملَ الحريّة داخل أراضيهم ومن يدخلها ومن يُحْرَم من جنّتها..؟؟

وغيرها من العبارات المستهلكة والممجوجة.!!!

إنّ من بين تعريفات السّيادة عند الباحثين في الشّؤون السّياسية والعلاقات الدّولية أنّها "استقلال القرار السّياسيّ عن الخضوع لأيّ طرف أعلى، والتّصرف كشخصٍ كاملِ الأهليّة في العلاقات الدّوليّة كإبرام المعاهدات، وإعلان الحرب والسّلم، والتّوقيع على الصّفقات الاقتصاديّة، والتّمثيل للدّولة في المنظّمات الدّولية والتّمتّع بالعضويّة الكاملة".

فأين السّيادة التّي يتشدّق بها الرّسميّون المصريّون، وقد انكشفت الخبايا وعرف القاصي والداني أنّ الجدارَ الفولاذيَّ الذّي تقيمُه القاهرةُ على الحدود مع غزّة لا يعدو أن يكون مجرّدَ تنفيذٍ لاتفاقٍ أُبرِمَ خلال الأيّام الأخيرة للحرب الإسرائيليّة على غزّة بين وزيرةِ الخارجيّة الأمريكيّة السّابقة كونداليزا رايس ونظيرتها تسيبي ليفني، ودون أيّ استشارةٍ أو حضورٍ للطّرف المصريّ..؟!

وأين السّيادة عندما تكون السّياساتُ والمواقفُ المصريةُ تابعةٌ بالكامل لقوى دوليّة كبرى لها مصالحها وأجنداتها الخاصّة بها، حتّى لو حملت أسماء مثل الرّباعية الدّولية والمجتمع الدّوليّ والأمم المتّحدة..؟؟

أين السّيادة يا سادة..؟؟

ولهواة المفارقات فإنّ كلمة (سَادَهْ) في إحدى اللّغات القريبة من العربيّة، رَسْمًا وتاريخًا وحضارةً، تعني الغباء والغفلة وسوء التّدبير..!!

رِفقًا بالعقول

الجهاتُ الرّسميةُ المصريةُ بريئةٌ براءة الذّئب من دم يوسف بن يعقوب، عليهما السّلام، وتلك الجهاتُ تواصلُ اللّيلَ بالنّهارِ في جهودٍ مضنيةٍ للدّفاعِ عن قطاعِ غزّة المُحَاصَر وإغاثة سكّانِه المنكوبين، إنّها مظلومةٌ بسبب سوءِ فهمٍ حول دورها، والمسؤول عن ذلك هو الإعلامُ المصريُّ الذّي قصّرَ في إيصال الصّورة الإيجابية لحكومة بلاده.

هذا الكلامُ الجميلُ، أو الصّورةُ الرّومانسيةُ بالأحرى، جاء على لسان سياسيّ مصريّ معروف بانتمائه القوميّ وحياديّته النّسبيّة خلال أحاديثه

لوسائل الإعلام، وكانت المناسبةُ حوارًا دارَ على شاشةِ فضائيّةٍ عربيّةٍ تَنَاظَرَ فيه الرّجلُ وتناطحَ مع اثنين آخَرَيْن دون قصد، لأنّ البرنامجَ لم يَقُمْ على التّضادّ من أساسه، لكنّ حساسيةَ الموضوع وخلفيّةَ كلّ مشارك جعلت الحوارَ يبلغ أقصى درجات الحِدَّة وتبادل التُّهَم وحتّى التّسفيه والتّجهيل.

لقد لَجَأَ مقدّمُ البرنامج إلى الوضوح التّام بعد أن تعبَ من مداراة الرّجل ودورانه ومراوغاته حتّى يتجّنب انتقاد الموقف المصريّ الرّسميّ تجاه قطاع غزّة المحاصر..

قال له بعد جدلٍ طويل: لماذا هذا الشّعور العربيّ بأنّ مصر تشاركُ في حصار قطاع غزّة..؟؟

وكان الجوابُ هو ما سبق، حيث لا يوجدُ أيُّ قدرٍ من التّقصيرِ المصريّ الرّسميّ تجاه المسؤوليات الأخلاقيّة والتّاريخيّة والإنسانيّة والقوميّة نحو قطاع غزّة، لكنّ الإعلامَ المصريَّ، على حدّ تعبير الرّجل، فشلَ في إيصال تلك الصّورة الرّائعة للواقع، وهذا ما يغذّي الشّعورَ الشّعبيَّ العربيَّ الغاضب والانتقادات اللاّذعة الموجّهة للدّور المصريّ الرّسميّ...!!

والحقيقة أنّ المتابعَ لمثل هذه المبرّرات يقع في حيرةٍ لأنّ جمهورية مصر العربيّة تملكُ أكبر ترسانة من القنوات الفضائيّة، كما أنّ حجمَها السّكانيّ ونسبةَ التّعليم العالية فيها أهّلتَهَا لأن تستحوذَ على حصّةِ الأسدِ في بعض القنوات الفضائيّة الخليجيّة والمهاجرة، فضلا عن كوادرها الإعلامية التّي تُدِيرُ عشرات القنوات العامّة والخاصّة.

يمكننا أن نصدّقَ تلك التّبريرات لو كنّا نعيشُ في منتصف القرن الماضي، لكنّنا اليوم في عصر تقارب المسافات والشّعوب بعد أن انكشف كلّ شيء أمام وسائل الإعلام، وحتّى لو قصّرت هذه الجهة الإعلامية، وتجنّت وتحاملت تلك، فإنّ الحقيقةَ ستظهرُ في القريب العاجل بفضل وسائل الاتّصال الأخرى وعلى رأسها شبكة الانترنت.

إنّ الحقيقةَ باتت واضحة للمتخصّص والعاديّ، والفلسطينيّ المُكْتَوِي بِنَارِ المشكلة، والعربيّ المُتَابِع بِحُرْقَة، وحتّى للبعيد في أمريكا الجنوبيّة أو أقاصي آسيا..

نعم باتت الحقيقةُ واضحةً لأنّ سياقَ الأحداثِ قد أظهرَ الصّورةَ صافيةً، وهي أنّ مصرَ شاركت في حصار قطاع غزّة بشكل أو بآخر، وأعلنت على لسان أكبر مسؤوليها أنّها ملتزمةٌ بما يُسَمّى الشّرعيّة الدّولية المتمثّلة في اللّجنة الرّباعيّة التّي تشترطُ تغيير الوضع القائم في غزّة والاعتراف بإسرائيل ليتمّ فكّ الحصار بعد ذلك.

إنّه لمن الظّلم البيّن أن يتحمّل الإعلامُ المصريُّ مسؤوليةَ الصّورة السّلبية المرسومة لمصر الرّسمية، لأنّ ذلك الإعلام، ومهما صَنَع، لن يستطيع تغطيةَ الشّمس بغربال، بل إنّه في وضعٍ يدعو إلى الشّفقة، لأنّه أشبه بذلك المحامي الذّي استلمَ الدّفاع عن قضيّةٍ خاسرةٍ من أساسها.

فالمعادلةُ واضحةُ الأطراف بالنّسبة للشّعوب العربية التّي لا تحبّذُ كثرةَ التّفريعات وترى القضيةَ من خلال قِيَمِها وأخلاقها ومبادئها: شعبٌ عربيٌّ محاصرٌ وله معبرٌ برّيٌّ مع دولةٍ عربيةٍ كبيرةٍ، فلا مناص من أن تتحمّلَ تلك

الدولة مسؤولياتِها دون أيّ اعتبارات أخرى.. وغير ذلك عليها أن ترفعَ الرّايةَ البيضاء وتعلنَ العجزَ وتُريحَ أسماعَنا من معلّقاتِ أمجاد الماضي.

وربّما رضيت الشّعوبُ العربيّةُ بالهمّ المصريّ الرّسميّ ولو إلى حين، لكنّ الأمر تطوّر إلى ما هو أعظم عندما بدأ العالَمُ يشاهدُ مصرَ الرّسميةَ وهي تصرُّ على بناء جدارٍ فولاذيٍّ بينها وبين قطاع غزّة وتتذرّعُ بحججٍ واهيةٍ، حتّى أنّ سفيرًا مصريًا سابقًا في إسرائيل كان سخيفًا إلى درجةٍ مقزّزةٍ عندما قال إنّ بناءَ الجدارِ أمنٌ قوميٌّ لأنّ إرهابيّين تسلّلوا إلى مصر عبر الأنفاق..؟؟

وعندما سُئِل عن هويّة أولئك المتسلّلين الذّين نفّذوا عمليات داخل مصر على حدّ قوله؛ أجاب بأنّهم ليسوا فلسطينيّين..!!

فمن هم إذن..؟؟

وكيف وصلوا..؟؟

هل دخلوا عبر إسرائيل، أم تسلّلوا عبر البحر إلى غزّة ومنها إلى مصر..؟؟!!

نذكّرُ إخوانَنا المصريّين الرّسميّين بأنّ هناك حكمة جميلة تقول: تستطيعُ أن تكذبَ على كلّ النّاس بعض الوقت، وعلى بعض النّاس كلّ الوقت، لكنّك لن تستطيع الكذبَ على كلّ النّاس كلّ الوقت..

فالرّأفةَ الرّأفةَ، والرّفقَ الرّفقَ بالعقولِ بعد أن خَذَلْتُم القلوب.

اليَمَن السّعيد.. إلى أين..؟

دَأَبَ اليمنيّون على إطلاقِ تسميّةِ اليمن السّعيدِ على بلادهم، وهي تسميةٌ تحملُ الكثيرَ من الحقيقة خاصّة في العقود والسّنوات الخَوَالِي، ربّما لأنّ الشّعبَ اليمنيَّ ظلَّ، من بين شعوبٍ عربيةٍ قليلةٍ، يعيشُ حياةً أقرب إلى الفطرة والبساطة التّي تضفي في الغالب سعادةً لا يعرفها الذّين تعقدّت يوميّاتُهم بتفاصيل العيش المعاصرة.

اليمنُ السّعيدُ بدأ يدخلُ نفقًا مظلمًا منذ فترة، ومخاطرُ ذلك النّفق ظهرت منذ أن اشتدّت حدّةُ المعارك بين الحوثّيين والجيش اليمنيّ، وزادت المخاطرُ عندما طفت إلى السّطح فعالياتُ ومظاهراتُ واعتصاماتُ ما صار يُعرف

بالحَرَاك الجنوبيّ، وجاءت ثالثةُ الأثَافِيّ خلال الأسابيع الأخيرة عندما تصاعدت المواجهاتُ بين عناصر ما يُسَمّى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب والنّظام اليمنيّ.

تلك المواجهاتُ التّي تطوّرت لاحقًا وصارت في صدارةِ الاهتمام الدوليّ، والغربيّ خاصّة، بعد قصّة محاولة تفجير ذلك الشّاب العشرينيّ النّيجيريّ لطائرةٍ أمريكيةٍ فوق سماء مدينة ديترويت.

حديثٌ عن مؤتمرٍ دوليّ حول اليمن في لندن، ولقاءاتٌ وزياراتٌ متبادلةٌ بين مسؤولين يمنيّين وأمريكيّين، وهمساتٌ عاليةٌ عن مساعدات تقنيّة وماليّة وصلت إلى اليمن وأخرى يجبُ أن تصل، وتدريبٌ لشرطةٍ من نوعٍ خاصّ ودعمٌ لعناصر خفر وحماية السّواحل.

إنّ تلك التّحركات الدّوليّة والمحليّة حول تطوّرات الوضع في اليمن يمكن أن تكون بريئة وصادقة لو كنّا نعيشُ في النّصف الأوّل من القرن العشرين مثلا، حيث ما زالت ثورةُ الاتّصالات الحالية في بداياتها الأولى، وكان اليَمَنُ، ومن على شاكلته من الدّول، يعيشُ في وضعٍ داخليّ شبه مغلق، وبلوغ الثّريا ربّما يكون أقلّ مؤونةً وأيسر كلفةً من معرفةِ ما يجري في تلك الصّحاري والبراري البعيدة وما يدخلُ أو يخرجُ عبر السّواحل الطّويلة.

أمّا ونحن في عصر الاتّصالات والأقمار الصّناعية والسّفارات الأجنبيّة، بل القلاع، المغروسة في جميع عواصمنا، وما بداخلها من إمكانيات ووسائل حديثة وما يتبعُها من جيوشِ العملاءِ والمتعاونين وشبكة العلاقات الضّخمة التّي تربطها بالمسؤولين على جميع المستويات، وبالتّالي ذلك الحجم الهائل من

المعلومات والمعطيات..!! ونحن في هذا العصر من حقّنا أن نتوجّس من هذه اليقظة الدّوليّة المفاجئة لما يحدث في اليمن السّعيد..؟؟

إنّ القاعدةَ ليست جديدة في بلاد اليمن لأنّ أغلبيةَ أتباع أسامة بن لادن كانوا من السّعوديّين واليمنيين، والرّجلُ ذاتُه من أصولٍ يمنية.

كما أنّ بيئةَ اليمن مناسبةٌ لأيّ نشاطاتٍ مسلّحة: فهناك التّقصير الحكوميّ في أكثر المجالات الخدمية والثّقافية، وهناك الحياة القبليّة التّي تطغى على أغلب مناطق البلاد وما يتبعُ ذلك من حَمِيّة وعصبيّة وانتشار هائل للأسلحة بمختلف أنواعها وأحجامها...!! وبينما قَطَعَ الجوارُ اليمنيُّ أشواطًا معتبرةً على طريق التّنمية الحقيقيّة، ووصلَ الإنسانُ هناك إلى درجاتٍ معتبرةٍ من العيش الكريم؛ ظلّ اليمنُ السّعيدُ يراوحُ مكانَه ويبدّلُ حالاً سيئةً بأسوأ منها، ويمرُّ كلّ فترةٍ بحالاتٍ من التّوتّر والحرب والصّراع على السّلطة، الأمرُ الذّي جعلَه وفيًا للتّخلّف بشكلٍ دائم..!!

والأسبابُ في ذلك داخلية بالدّرجة الأولى، لكنّ هناك من يتحدّثُ أيضا عن أيادي ظلّت تعملُ منذ عقودٍ للحفاظِ على الوضع القائمِ لأنّها تعتقدُ أنّ سعادتَها في استمرار شقاء اليمن..؟؟؟

إنّ البيئةَ اليمنيةَ تتقاطعُ مع البيئة الأفغانيّة في عدّة نقاط، والخشيةُ كلّ الخشية أن يتكرّرَ السّيناريو الأفغانيّ نفسه في اليمن.. فالغربُ ودول الجوار تركوا أفغانستان تتخبّطُ في مشاكلها الدّاخلية المتعدّدة وأوضاعها الاقتصاديّة والاجتماعيّة المزريّة، وراقبوا بحذر مجموعاتٍ مسلّحةً وهي تتشكّلُ وتتقوّى وتتدّرب، ولم ينزعجوا كثيرا وهي تضربُ ضرباتها الأولى، وبعد سنواتٍ

استيقظوا على لَطْم الخدود وشقّ الجيوب وقالوا إنّ الخطرَ وخرابَ العالَم كلّه من هناك.. ثمّ تدخّلوا وضربوا ودمّروا ودفع الشّعبُ الأفغانيُّ المسكينُ الفاتورةَ الكاملةَ وحده.!!

وهاهو السّيناريو الأفغانيّ يتكرّر، لكنّ أسماء المدن والأماكن ستكون عربيّة هذه المرّة..

ومع أنّ الحديثَ عن التدخّل الأمريكيّ المباشر في اليمن ما زال مستبعدا في الوقت القريب، لكنّ طلائعه بدأت تظهرُ على الميدان، فالمدرّبون الأمريكيّون على الأراضي اليمنيّة، والحكومة هناك لا تمانع في المزيد.

إنّ اليمنَ السّعيدَ هذه الأيّام صورةٌ واضحةُ المعالم لقصّة ذلك التحّالف غير المقدّس الذّي تلتقي فيه أنظمةٌ قديمةٌ متهالكةٌ وقوًى إقليميةٌ متربّصةٌ ومخطّطاتٌ دوليةٌ تعرفُ متى ومن أين تُؤكلُ الكَتِف.. ومع كلّ ذلك يمكنُ التّفاؤل.. ويستطيعُ صنّاعُ القرارِ في اليَمَنِ الخروجَ عن نصّ السّيناريو المكتوب ودفع دفّة الأحداث بالاتّجاه الذّي يخدمُ البلاد والعباد..

فقط عندما تكون المصلحةُ العليا للبلاد فوق كلّ اعتبار.. تلك المصلحةُ التّي يحدّدها جميع العقلاء والحكماء الفاعلين، لا تلك التّي يرفعُها البعضُ شعارًا لتكريس الموجود، ومواصلة السّير على الطّريق المسدود.

أمريكا والأفغان.. الوهم المشترك

الوضع الأفغانيّ العامّ بعد ثماني سنوات ونيّف من سقوط حركة طالبان ما زال يراوحُ مكانَه بامتياز، فتلك الآلاف المؤلّفة من القوّات الأمريكية وجنود حلف النّاتو وقعوا في فخّ حربِ عصاباتٍ طويلة الأمد، وحكومةُ الرّئيس حامد كارزي، ومِنْ ورائها ما يُسمّى المجتمع الدّوليّ، فشلت في تثبيت دعائم إدارةٍ قويّة وشفافيّة سياسيّة واقتصاديّة تديرُ الموارِدَ المحليّةَ وتضمنُ فعالية واستمرار المساعدات الدّوليّة والإقليميّة.

ومع كلّ ما سَبَقَ تُظهِرُ اجتماعاتُ حلف شمال الأطلسيّ (النّاتو)، وتصريحاتُ أقطاب الإدارة الأمريكيّة الجديدة، أنّ الجميعَ يفضّلُ الهروبَ

إلى الأمام عبر تكرار السّياسات السّابقة مع جميع تداعياتها ومظاهر فشلها الذّريع عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، ليظلّ الحديثُ عن القوّات الإضافية ودعم قوات النّاتو والقضاء على المسلّحين هو حادي الاجتماعات الثّنائية والعامّة.

وتأتي الخطوةُ الأمريكيةُ القادمة، التّي تأخّرت بعض الوقت، لتصبّ في المضمار ذاته حين تطأُ أقدامُ ثمانية عشر ألف جنديّ جديد أرض أفغانستان خلال هذا الرّبيع، ليتبعهم بعد ذلك آخرون حتّى يصلَ العددُ إلى ثلاثين ألفًا أَمَرَ الرّئيسُ الأمريكيّ بَارَاك أُوبَامَا بإرسالهم إلى ميادين القتال لدعم الجهود العسكريّة المتواصلة منذ نهاية عام 2001..!!

تلك الجهودُ التّي بدأت حين انسحبت حركةُ طالبان من المدن الأفغانيّة الكبرى، وعادت إلى الجبال والأرياف لتبدأ حرب كرٍّ وفرٍّ أَدْمَن البشتون الأفغان عليها وتمرّسوا في فنونها منذ قرون.

لقد جرّبت الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ خلال السّنوات الماضية قدراتِ جنودها وأسلحتها المتنوّعة، ودخلت عددًا من المعارك الكبيرة ضدّ عناصر طالبان، وظلّت المناوشاتُ مستمرّة في المناطق والولايات السّاخنة، ومع ذلك يجدُ الأمريكيّون أنفسَهم أمام كشفِ حسابٍ خالٍ من أيّ إنجازات حقيقيّة، ويضطرُّ قادتُهم إلى الاعترافِ بأنّهم يواجهون عدوًا وهميًا مجهولَ العَدَدِ والعُدّةِ، لكنّه يُلحِقُ بهم الخسائرَ المادّيةَ والبشريّةَ باستمرار.

وجرّبَ الأمريكيّون أيضا الحربَ النّفسيةَ والإغراءات الاقتصاديّة، لكنّها فشلت هي أيضا لأنّها لم تنسجم مع المعادلة الثّابتة في ذهنيّة أغلب الأفغان...

تلك المعادلة التّي ترفضُ تسلّلَ الأجنبيّ إلى عناصرها المعلومة والمجهولة على حدّ سواء، وأكثر من ذلك ترى وجودَه ذلاً وعارًا..

وهاهي الإدارةُ الأمريكيّة هذه الأيّام تمزجُ بين العسكريّ والنّفسيّ عندما أعلنت عن عمليةٍ عسكريةٍ واسعةِ النّطاقِ في ولاية هِلْمَنْد جنوبيّ أفغانستان، هي الأكبر منذ سقوط حركة طالبان.

إعلانٌ قبل موعده، وهو أمرٌ مستغربٌ عسكريا، لكنّ الهدفَ، على حدّ تعبيرِ أحدِ كبارِ المختصّين الأمريكيّين، هو منحُ المسلّحين فرصةً للهرب..!!

وإن صحّ ذلك فهو سذاجةٌ أمريكيةٌ جديدة، لأنّ الخيارات أمام المسلّحين من طَالِبَان صارت محدودة، خاصّة بعد الحرب التّي تخوضُها باكستان ضدّهم على أراضيها القبليّة الحدوديّة التّي كانت أشبه بالقاعدة الخلفيّة لعناصر طالبان أفغانستان.. تلك المناطقُ كانت الملاذَ الآمن، لكنّها اليوم أرضُ حربٍ وقتالٍ هي الأخرى فلم يَعُد أمام هؤلاء إلاّ القتال أو الانسحاب التكتيكيّ من مكان إلى آخر لتستمرّ الملاحقات والمعارك بعد ذلك.

وربّما يرى الأمريكيّون لفشلهم في أفغانستان أسبابًا يمكن تلافيها مستقبلاً، لكنّهم واهمون لأنّهم ظلّوا يتجاهلون دائمًا تلكَ الحقيقةَ التّاريخيةَ وهي أنّ الأمرَ برمّته بالنّسبة للأفغان، والبشتون خصوصًا، لا يعدو مجرّد جولة من جولات الحروب والصّراعات مع الغزاة الأجانب وحتّى بين بعضهم البعض... لأنّ الأفغان لم يعرفوا الكثيرَ عن الحياة المعاصرة ومغرياتها، وما عدا سكّان المدن الكبيرة، فإنّ الأفغانيّ البشتونيّ يعيشُ حياةً عاديةً جدا، ويعتزُّ بسلاحه ويحملُه معه دائمًا كما يفتخرُ بقبيلته وأرضه، وهكذا فإنّ القتالَ

نشاطٌ روتينيٌّ بالنّسبة له، والمقابر المزيّنة بالرّايات تتناثرُ حول القرى والوديان وتذكّرُه دائما بمعارك وجولات وصولات مع الإنجليز والرّوس، وتجعلُ من الحرب على الأمريكيّين عملاً أكثر من المشروع وأكبر من الواجب.

إنّ على الطّرف الأمريكيّ أن يدركَ جيّدا أنّ الأفغانَ لا يملكون شيئا حتّى يخسروه، بل إنّ الكثير منهم قد يتوهّمُ أنّ الحياةَ لا تستقيمُ دون حرب، لأنّها الوجهُ الوحيد الذّي عرفوه منها.. أمّا الدّول الغربيّة فلديها رأيٌ عامٌّ يمكنُ أن يصبرَ على مشاهدِ التّوابيت حينًا من الزّمن، لكنّ كثرتَها تستفزّه وتخرجُه عن طَوْرِه وتصيبُ السّياسيّين بالأَرَقِ خوفًا على مستقبلهم وصورتهم العاجلة والآجلة.

سيظلّ الأفغانيُّ هو نفسه، ولن تتغيّر نظرتُه نحو القوّات الأجنبيّة والحرب ضدّها، لأنّها تمثلُ مصدرَ رزقٍ بالنّسبة للكثيرين، وعملاً مضمونًا دون مؤهّل سوى إتقان استعمال السّلاح والاستعداد للموت في كلّ لحظة..

ومع هذه الحال لا يبدو في الأفق حلّ للمأزق الأمريكيّ سوى الانسحاب بهدوء، وتركِ الأمرِ لأهله، ومساعدتهم من بعيد دون شروطٍ لتكون لهم دولة حقيقيّة تحفظُ حدودَها وتساعدُ شعبَها على اللّحاقِ بركب المدنيّة.

البرنامج النّوويّ.. هل يحمي البلادَ من مخاطر الانشطار..؟

منذ أيّام قليلة انقضت إحدى وثلاثون سنة على قيام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وعلى ذلك اليوم الذّي أُجبرَ فيه شاهُ إيران الرّاحل محمّد رضا بهلوي على مغادرة طهران ليتركَ الميدانَ لغريمه السّياسيّ الإمام آية الله الخميني، وكبار علماء الدّين الشّيعة الذّين كانوا حوله.

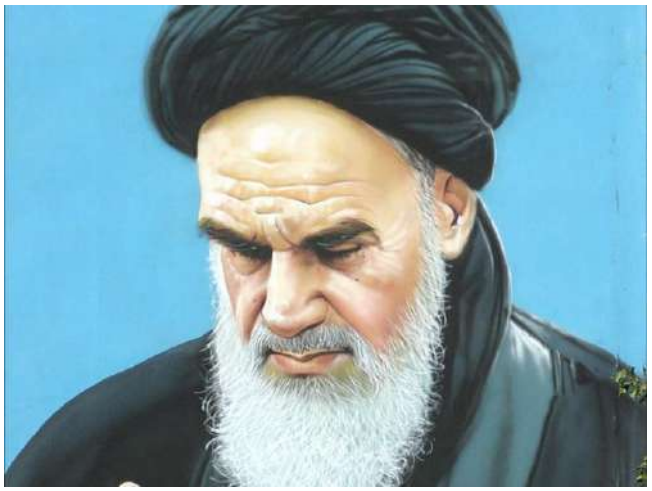

الشّيءُ الجديدُ في الاحتفال الرّسميّ والشّعبيّ الإيرانيّ هذا العام هو ظهورُ أكثر من لونٍ وطعمٍ ورائحة.. الأمرُ الذّي يؤشّرُ إلى أنّ قطارَ الثّورةِ الإسلاميّةِ في إيران لن يظلَّ برأسٍ واحدٍ وهو يبدأُ عقدَه الرّابع منذ أن

دخلَ الخدمةَ وصارَ رقمًا إقليميًا ودوليًا يحسب له الحلفاءُ والأعداءُ أكثر من حساب.

نعم لقد ظهرَ في عيد الثّورة أكثرُ من لونٍ وطعمٍ ورائحة..

فبالنّسبة للألوان كانت المعارضةُ الإصلاحيّةُ حاضرة رغم حظر قوّات الأمن لأيّ فعالياتٍ لا تكون ضمن السّياق الحكوميّ الرّسميّ.

وبالنّسبةِ للطّعمِ دفعت المفارقةُ هذا العام حفيدةَ المؤسّس الرّمز الرّاحل آية الله الخميني وأوقعتها يوم العيد رهن احتجاز قوّات الأمن رفقة زوجها شقيق الرّئيس الإيرانيّ السّابق محمّد خاتمي..؟؟

أمّا الرّوائحُ فكانت حاضرةً عبر القنابل المسيلة للدّموع والطّلقاتِ النّاريةِ التّي استعملتها قوّاتُ الأمن للتّصدّي للذّين جرّبوا التّحدّي، وخرجوا لإحياء عيد الثّورة الإسلاميّة بطريقةٍ مغايرةٍ للصّورةِ النّمطيّةِ التّي عرفَها الإيرانيّون على مدى ثلاثة عقود كاملة.

ورغم محاولات التّشويش التّي صدرت عن الإصلاحيّين، بذلت حكومةُ الرّئيس محمود أحمدي نجاد أقصى جهودها ليكون الاحتفالُ رسالةً قويةً توجّهُها نحو الدّاخل والخارج على حدّ سواء، وتحملُ عبارةً مختصرةً وواضحةً تقول إنّنا ما زلنا هنا، وإنّ جميعَ خيوطِ اللّعبةِ لا تزالُ تحت السّيطرة.

تلك الرّسالةُ الرّسميّةُ كانت حاجةً ماسّةً بالنّسبة للحكومة بعد أن راحَ البعضُ يُلمّحُ، وحتّى يصرّحُ، إلى أنّ الجمهوريّةَ الإسلاميّةَ، أو أفكارَها وشعاراتِها على الأقلّ، بدأت تغادرُ مرحلةَ التّألّقِ والحيويّةِ والشّباب إلى الكهولة، وربّما الشّيخوخة المبكّرة التّي قد تُحيلُها إلى تقاعدٍ كاملٍ كما حدثَ مع كثيرٍ من الثّورات التّي عَرَفَها العالم.

ذلك التّشكيك في قدرةِ الثّورةِ على مواصلةِ المسيرةِ بَدَأَ مع الجدلِ الكبيرِ الذّي أعقبَ انتخاباتِ الرّئاسةِ العام الماضي، وتحوّلَ إلى مظاهراتٍ واحتجاجاتٍ بسبب النّتائج التّي أعادت تثبيتَ أحمدي نجاد على الكرسيّ لفترة ثانية، ومن ثمّ تلك الشّكوكُ التّي أطلقَها الإصلاحيّون المنافسون وتطوّرت لاحقًا إلى معارضةٍ لها رؤوس معروفة، ومواقف مكشوفة، وأخبار مبثوثة عبر مواقع إلكترونيّة تتنفّسُ من خلالها نحو الخارج، بعد أن شدّدت الحكومةُ الرّقابةَ على وسائل الإعلام الأجنبيّة.

نعم لقد خرج ملايين المواطنين وغصّت بهم السّاحاتُ وهم يستمعون إلى الرّئيس الإيرانيّ متحدّثا عن الأمّة الإيرانية وعزّتها وشموخها، وصمودها أمام القوى الغربية ومن بينها الولايات المتّحدة الأمريكية.. واستمع العالمُ عبر الفضائيات، أو من أراد أن يستمع على الأقلّ، إلى الرّئيس الإيرانيّ المحافظ وهو يتحدّثُ عن مشروع بلاده النّوويّ وتخصيب اليورانيوم بنسبة أعلى، والتّأكيد من جديد على الطّابع السّلميّ للعملية برمّتها وانتفاء الرّغبة في امتلاك سلاح نوويّ..!!

تلك الملايين المُؤَيِّدَة كانت في ميدان آزادي (الحريّة) والطّرق الرّئيسيّة المؤدّية إليه، وكانت قوّاتُ الأمن قد اتخذت تدابيرَ مشدّدة، كما توعّدت بقمع أيّ أنشطة للرّأي الآخر الذّي قد يستغلُّ المناسبةَ بطريقته الخاصّة.

ومع ذلك تحدّثَ الإصلاحيّون عن خروج أنصارهم، واشتباكهم مع قوّات الأمن، وعمليات الاحتجاز التّي طالت بعضَ رموز الصّفّ الثّاني لقيادات المعارضة.

لقد بذلت الحكومةُ الإيرانيّةُ خلال الشّهور الماضية جهدًا كبيرًا في التّشهير بالإصلاحيّين، وربطهم بالخارج وتحديدا بالولايات المتّحدة الأمريكية، أو الشّيطان الأكبر كما تُطلق عليها أدبيّات الثّورة الإسلاميّة.

ووصلَ التّوترُ بين الطّرفين إلى تلك التّهديدات الخطيرة التّي أطلقها بعض القادة المتشدّدين خاصّة من الحرس الثّوريّ..!!

لكنّ ذلك لم يغيّر من حقيقة الأمر شيئا وهو أنّ في الدّاخل تَمَلْمُلاً حقيقيًا من وَضْعٍ يحتاجُ إلى تصحيحٍ وتعديلٍ بشكل ما، وأنّ إيران الثّورة الإسلاميّة، وهي في عقدها الرّابع، لم تَعُد صفًا واحدًا وراء المرشد الأعلى، أو الوليّ الفقيه الذّي ينوبُ عن إمام الزّمان (الغائب) إلى حين عودته..!!

لقد بات واضحًا الآن أنّ بين جدران بناء الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة جدلاً جديدًا بمواصفات تختلفُ عن تلك التّي عُرفت سابقًا بين أجنحة وأقطاب النّظام.. وباتَ من السّهل التّمييز بين مجموعتين مختلفين في أساليب التّعامل مع الدّاخل والخارج.

لكنّ ما يُؤسَف له أنّ الحكومةَ الإيرانيةَ اختارت الهروبَ إلى الأمام والتّركيزَ على البرنامج النّوويّ لكسب الرّهان... ومتى كان السّلاحُ بديلاً عن التّوافق الوطنيّ.؟؟

وكيف له أن يُجَنِّبَ تلك الفُسَيْفُسَاء (العرقيّة واللّغويّة والمذهبيّة والسّياسيّة) شرورَ الانشطار..؟؟

العودةُ.. والعُقْمُ السّياسيّ العربيّ

خرجَ إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة طالبًا للعلمِ، وهناك حصلَ على الدّكتوراه في القانون الدّوليّ من جامعة نيويورك عام 1974.. ومن تلك البلاد، وبعد عشرِ سنوات، طرقَ بابَ الوكالةِ الدّوليةِ للطّاقةِ الذّريّةِ وتقلّدَ وظيفةً كبيرةً في السّكرتارية، ومنها تنقّلَ بين عددٍ من المناصبِ المهمّةِ بما في ذلك المستشار القانونيّ للوكالة، وما لبثَ أن وصلَ إلى قمّةِ الهرمِ وصارَ مديرًا عامًا للوكالةِ ليتقاعدَ بدايةَ العام الجاريّ ويعودَ إلى وطنه مصر.

إنّه الدّكتور محمّد البرادعيّ الحاصل على جائزة نُوبَل، وأحدُ النّماذجِ العربيّةِ الكثيرةِ التّي نجحت وتألّقت خارجَ حدود الوطن العربيّ، وبعيدًا عن أضواء

وأعين أنظمته السّياسيّة، وتسلّقت سلّمَ الرّقيّ في بلادِ الغربِ حيث الصفّ الأوّل فعلاً للأقدر على العطاءِ والأكثر نزاهةً وحرصًا على المصلحة العامّة.

ولا شكّ أنّ الطّريقَ لا زالت مفتوحةً أمام الدّكتور البرادعي ليواصلَ مشوارَ التّميّزِ في بلادِ الغرب، ولا شكّ أيضا أنّ بقاءَه هناك سيكونُ أفضلَ بكثير، النّاحية المّادية والشّخصيّة، من الدّخول في مُهَاتَرَاتِ السّياسة وتراكماتها العَفِنَة في مصر حيث المياه الرّاكدة منذ ثلاثةِ عقودٍ كاملة، حتّى تسرّبَ إلى أذهانِ بعضِ المواطنين أنّ المجموعةَ، المتربّعةَ على رأسِ الهرمِ هناك، قدرًا مقدورًا لا طاقة لأحد به..!!

ولأنّ المواطنَ العربيَّ مصابٌ، في الغالب، بِدَاءِ الشّك ومسكونٌ بنظريّة المؤامرة، فقد ثارت بعضُ التّساؤلاتِ حول دورِ الرّجلِ في الوكالة الدّولية للطّاقة الذّرية وخصوصًا ما حدث مع العراق ويحدثُ الآن مع إيران..؟؟

وفي المقابل صمتٌ شبهُ مطبق عن برنامج إسرائيل النّوويّ وخطره على المنطقة، بل على العالَم أجمع، لأنّ في إسرائيل أيضًا متطرّفين دينيّين، ومن نوعٍ خاصّ جدا، وفي صدورهم كمّياتٌ ضخمةٌ من الحقد على كلّ إنسان، وليس على العربِ فقط، تؤهّلُهم لتهديد العالَم بسلاحهم النّوويّ إذا أمسكوا يومًا بزمام الأمور..!!!

ومن هناك يأخذُ البعضُ على البرادعي أنّه لم يحاول التّشويشَ، مجرّد التّشويش، على المشروع النّوويّ الصّهيونيّ خلال فترة عمله بالوكالة، وإن كان الكثيرون يدركون أنّ الرّجلَ ظلّ أسيرًا لقواعد صارمة وسياسات دوليّة نافذة، كما هو الحال مع المؤسّسات العالميّة الكبرى.

ومع أنّ اللّغطَ الذّي أحدثته عودةُ الدّكتور البرادعي يظلُّ شأنًا مصريًا بالدّرجة الأولى، فقد تحوّلَ إلى شأنٍ عربيٍّ إلى حدٍ كبير، والسّببُ وراء ذلك هو حجمُ الإحباط الذّي يعانيه الشّارعُ العربيُّ بعد إدمان مصر الرّسمية على وضع العصيّ في دواليب أيّ حَراك عربيّ جادّ وتفنّنها في صناعة الممهّلات، وحتّى العقبات، على طريق أيّ محاولاتٍ لدفعِ القطارِ العربيّ نحو الهَرْوَلَة، مجرّد الهرولة..!!

نعم لقد صارت قضيّةُ الحكم في مصر عربيةً بعد أن تابعَ كثيرٌ من العرب وصولَ الدّكتور محمّد البرادعي إلى مصر ومساهمته العاجلة في إعادة الرّوح إلى الجدل السّياسيّ الإيجابيّ، وانخراطه مع التّشكيلات السّياسية المعارِضة في واجهة سياسية جديدة هي الجمعيّة الوطنيّة من أجل التّغيير، والسّعي من خلال ذلك إلى تعديل الدّستور المصريّ، وتحديدا المواد 76 و77 و78 التّي جاءت بعد تعديلات أُقِرَّت عام 2007 واشترطت حصولَ المرشّح المستقلّ على أصوات 250 نائبًا من أعضاء مجلسَيْ البرلمان والمجالس المحلّيّة، وهي مجالسُ يحظى فيها الحزبُ الوطنيُّ الحاكمُ بالأغلبيّة المريحة، وبالتّالي لن تتوفّرَ الشّروطُ إلاّ في المرشّح المرغوب فيه رسميا.

لقد رحّبَ الكثيرُ من العرب، فضلا عن المصريّين، بعودةِ البرادعي إلى مصر، وهو أمرٌ أعادَ الحديثَ حول تعطّشِ الجماهيرِ العربيةِ للتّغيّير.

وتأسيسًا على ذلك يمكن القولُ إنّ ذلك التّرحيب لن يكون بالضّرورة حبًا خالصًا للرّجل القادم من الغرب، وما يحملُ في جعبته من رؤى وأفكار، وحتّى علاقات مع جهات دوليّة كثيرة..؟؟

وبالتّالي هو تعبيرٌ عفويّ عن الاشمئزاز من الوضع القائم في مصر بعد أن عَلاَه الصّدأ، وتراكمت حوله القاذورات السّياسيّة والأمنيّة.

وأخيرا لو نجح البرادعي في تغيير أيّ شيء، ولو دون رأس الهرم، فإنّ على النّخب العربيّة أن تتساءلَ عن سرّ ما يحدثُ، وسبب العقمِ الذّي أصابَها وأظهرَها عاجزةً عن إنتاج قيادةٍ سياسيّةٍ فاعلةٍ من داخل الوطن، كما أنّ التّاريخَ سيتحدّثُ يومًا ما عن حجم الجرائمِ التّي ترتكبُها بعض الأنظمة العربيّة وهي تُحكِمُ إغلاقَ دوائر الفعل السّياسيّ الحقيقّي، وتنشرُ ثقافةَ اليأسِ والقنوطِ وتُحَجِّمُ جميع المواهب الوطنيّة ليصبح النّجاحُ والتألّقُ ملازمًا فقط لأولئك الذّين تنسّموا هواء الغرب وشربوا من ينابيع حريّاته وديمقراطيّته.

انقلاب النِّيجر.. هل تكون اللّيلةُ أفضل من البارحة..؟

كما تَدِينُ تُدان.. مَثَلٌ يمكنُ أن يختصرَ ما حدثَ مؤخّرًا في جمهورية النّيجر، جارتنا الجنوبيّة.. لقد كان الرّئيس ممادو تانجا على رأس اجتماع حكوميّ عندما دخلَ عليه جنودٌ وقاموا باعتقاله صُحبةَ وزرائه، ولاحقًا أعلنَ عسكريّون انقلابًا على الحكمِ القائمِ وعلّقوا العملَ بالدّستور وحلّوا الحكومةَ ومختلف المؤسّسات الدّستوريّة.

الرّئيس تانجا نفسُه جاءَ إلى الحكم عبر انقلابٍ عسكريٍّ عام 1999، وقد كانَ قبل ذلك مجرّد ضابطٍ في الجيش، ولم يكن انقلابُه ذاك هو أوّلُ عهودِ

العسكرِ في حكمِ البلاد، فقد شهدت النّيجر قبل ذلك فتراتٍ طويلةً من الحكم العسكريّ منذ أن استقلّت عن فرنسا عام 1960.

لقد وصلَ تانجا إلى الحكمِ بعد أن داسَ بقدميه على جثّةِ انقلابيٍّ سابقٍ هو الكولونيل إبراهيم باري مناصرة الذّي لقيَ حتفَه في كمينٍ نصبتْه له مجموعةٌ عسكريةٌ في مطار العاصمة نيامي..!!

ومناصرة أيضا تربّعَ على كرسيّ الحُكْمِ عام 1996 بعد أن أزاحَ، عَبْرَ انقلابٍ عسكريٍّ، محمّد عثمان رئيس البلاد المنتخب الذّي وصلَ إلى الحكم عبر انتخاباتٍ تعدّديّةٍ عام 1993.

إنّها لعنةُ الانقلاباتِ التّي عرفتْهَا أغلبُ الدّول الأفريقية في العقود الماضية، ومع أنّ حِدَّتَها خفّت إلى حدّ كبير مع دخول الألفيّة الجديدة، فإنّها ظلّت تطلُّ برأسها من حينٍ إلى آخر، وإن كانت كمّياتُ الدّماءِ المُرَاقَةِ فيها قد تناقصت كثيرا، لأنّ وسائلَ الاتّصال بلغت حدًا لم يعد يَسْمَحُ بإخفاءِ المذابح والجرائمِ، بعد أن صارَ العالمُ يشاهدُ مباشرةً كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تحدثُ في أنحاء المعمورة.

صورةُ الخداعِ تكرّرت في النّيجر مع كلّ مرّة يصلُ فيها عسكريٌّ إلى سدّة الحُكْم على ظهر دبّابة، حيث يسارعُ الوافدُ الجديدُ إلى تعديلاتٍ دستوريةٍ وانتخاباتٍ يفوز فيها بحقّ أو باطل، ثمّ يشكّلُ حكومةً ويديرُ شؤونَ البلادِ بعد أن يتخلّى عن الزّيّ العسكريّ ويُوهمَ شعبَه والعالَمَ أنّه تحوّلَ إلى حاكمٍ مدنيٍّ مظهرًا ومخبرًا..!!

جاءَ الرّئيسُ المخلوعُ ممادو تانجا إلى الحكم وقضى فيه فترتين رئاسيّتين ولم يكن الدّستورُ يخوّلُ له أكثر من ذلك، وكان عليه أن يغادرَ القصرَ الرئاسيَّ في ديسمبر الماضي مُعَزَّزًا مُكَرّمًا، لكنّه اختارَ الطّريقَ الآخرَ وفضّلَ الدّخولَ في مواجهاتٍ مع المعارضةِ عندما حلّ البرلمانَ وأجرى تعديلاتٍ دستوريّة منحَ نفسَه من خلالها صلاحياتٍ جديدةً، ومدّد لنفسِه على رأس السّلطة..!!!

والمبرّرُ لكلّ ما حدثَ هو حرصُ الرّجلِ على استمرارِ إشرافِه على مشاريع كبيرة في قِطَاعَيْ الغاز واليورانيوم، وكأنّه صاحبُ العقلِ العبقريِّ الوحيد في البلاد، مع أنّه تجاوزَ السّبعين من عمره.

وهكذا وجدت البلادُ نفسَها تنامُ وتستيقظُ على مظاهرِ التّوتّرِ شهورا عديدة، لتعودَ لغةُ القوّةِ من جديد عندما تقدّمت مجموعةٌ عسكريةٌ لتُزيحَ الرّئيسَ وحكومتَه وتعلنُ عن مجلسٍ عسكريٍّ حاكمٍ أطلقَ على نفسه المجلس الأعلى لاستعادة الدّيمقراطية، والهدفُ المعلنُ هو إنهاء الوضع السّياسيّ المتوتّر، والأسبقيّة طبعًا، كما تقولُ بياناتُ الانقلابات دائمًا، هي للاستقرارِ وعودةِ السّلمِ والطمأنينةِ لنفوس المواطنين، وبعدها يمكنُ التّفكيرُ في موعدِ الانتخابات العامّة.

وكما حدثَ في حالاتٍ إفريقيةٍ مشابهةٍ خرجَ الآلافُ في مظاهراتٍ تأييدٍ للوضعِ الجديدِ، وتفاءلوا بأنّ اللّيلةَ قد تكونُ أفضل من البارحة، وربّما حقّ لهم ذلك بعد أن تحقّقَ الذّي يريدون وسَقَطَ الدّكتاتور الذّي تخيّل أنّه باقٍ في الحكم إلى الأبد.

لكنّ فرحةَ الجماهير ستكونُ مؤقّتةً في الغالب، لأنّ الحقيقةَ قد تتبدّى بشكل آخر، فالدّيمقراطية لا تُولدُ بقراراتٍ سياسيّةٍ أو عسكريّةٍ، فهي أكبرُ من ذلك كلّه، لأنّها سلوكٌ حضاريٌّ يشتركُ في ممارسته الحاكمُ والمحكومُ على حدّ سواء.

والرّجلُ العسكريُّ، مهما كانت نواياه الطّيّبة وسيرته الطّاهرة، ليس مؤهّلاً لنشر الدّيمقراطيّة لأنّ أبسط القواعد التّي تربّى عليها هي السّمعُ والطّاعةُ المطلقة، أو على الأقلّ: نفّذ الأمرَ ثمّ ناقش بعد ذلك..

وتلك سلوكياتٌ تحتاجُها الأممُ في ميادين القتال وحمايةِ الثّغور، أمّا الدّيمقراطيّةُ والعملُ السّياسيُّ فَهُمَا مساحاتٌ حرّةٌ للرّأي والرّأي المخالف، وتتحقّقُ فيها الغَلَبَةُ لمن يحسنُ الحوارَ والكلامَ والاستماعَ والتّوفيقَ بين المفارقات والجمع بين المتناقضات.

إنّ الذّين يَصِلُونَ إلى الحكمِ على ظهورِ الدّباباتِ لن يحقّقوا الدّيمقراطيةَ حتّى لو أزاحوا حاكمًا شموليًا ظالمًا، ولنا في التّجربة الموريتانيّة الأخيرةِ خير برهان، فقد أزاحَ العقيدُ أعلي ولد فال عام 2005 الضّابطَ السّابقَ الرّئيس معاوية ولد الطّايع الذّي تجاوزت سنوات حكمه العشرين عامًا، وغادرَ العقيدُ فال الحكمَ كما وعد وسلّمه لمدنيّين بعد انتخاباتٍ ديمقراطيةٍ نزيهة، لكنّ الحكايةَ لم تقف هناك، فبعد فترةٍ جاءَ من أزاحَ الرّئيسَ المنتخبَ بأمرٍ عسكريٍّ بحجّةِ حمايةِ البلادِ من الوقوعِ في الهاويّة..!!

لِيَبْرُزَ السّؤالُ من جديد: متى ينقرضُ أولئك الذّين يبرّرون لأنفسهم تمثيلَ الشّعوبِ عبر الانقلابات العسكريّة..؟؟؟

العرب.. هل عادت أوراقُهم الرّابحة..؟

لا تُفاوض إلاّ إذا كنتَ قويًا، لكن إذا كنتَ قويًا فلماذا تُفاوض..؟؟ حكمةٌ أو قولٌ دأبَ ساسةُ إسرائيل على التّناغمِ معه منذ أن ظهرت دولتُهم إلى الوجودِ عام 1948.. لقد خاضوا معاركَ السّياسةِ وجولاتِ المفاوضاتِ من خلال منطقِ القوّةِ، ولم يفكّروا أبدًا أن يتعاملوا معها من خلالِ قوّةِ المنطق.

وفي المقابلِ وَقَعَ بعضُ العربَ والفلسطينيَينَ أَسْرَى دائرةٍ مغلقةٍ غنيّةٍ بمفرداتٍ من قَبِيل: فاوَضَ يفاوضُ فهو مفاوضٌ، وعندما يواصلُ التّفاوضَ

سيحصلُ على المزيدِ من جلساتِ التّفاوضِ، ويؤدّي كلُّ ذلك إلى انتعاشِ سوقِ التّفاوض..!!!

لقد دَخَلَ العربُ والفلسطينيّون مفاوضاتِ السّلامِ من خلال مؤتمرِ مَدْرِيد عام 1991 وكانت أياديهم فارغةً من أيِّ قوّةٍ حقيقيّةٍ يمكنُ أن تُجْبِرَ الإسرائيليّينَ، أو الأمريكيّينَ، على القبولِ بفكرةِ ردِّ الحقوقِ واحترامِ حقائقِ التّاريخ والجغرافيا.

وحتّى تلك الورقة التّي لوّحَ بها الجانبُ العربيّ في البداية، وهي شَرْطُ إيقافِ بناءِ المستوطناتِ في الضّفة الغربيّة وقطاعِ غزّة لأجل قبول بَدْءِ مفاوضاتِ مدريد، اختطفَها الرّاعي الأمريكيّ عبر الضّغطِ على العربِ للتّنازلِ والجلوسِ على طاولةِ المفاوضاتِ، ليَظْهَرَ الدّهاءُ الإسرائيليُّ بعد ذلك عبر مضاعفةِ البناءِ تحت مظلّةِ استمرارِ الجولاتِ الرّوتينيّةِ لمؤتمرِ مدريد، ولتستغلّ دولةُ الاحتلالِ تلك المستعمراتِ الجديدةَ في إيواءِ مهاجرين يهود جُدُد قدِموا من روسيا الاتّحادية التّي كانت تتقاسمُ رعايةَ المؤتمرِ مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة..!!

وبعد انقضاءِ عشرِ جولاتٍ كاملةً من المباحثاتِ استغرقت أكثرَ من عشرين شهرًا، لم تظهر في الأفقِ أيُّ بوادر انفراج ولم يَبْدُ على الطّرفِ الآخرِ أيَّ استعدادٍ للوصولِ إلى نتائج ملموسة..!!

والسّببُ واضح: ليس في حاجةٍ للمفاوضاتِ فهو الطّرفُ الأقوى في المعادلة.

ورغمَ عددٍ من العنتريّاتِ الإسرائيليّةِ وعلى رأسها الهجوم الجويّ والبحريّ على أجزاء من لبنان ولمدّة سبعة أيّام، ورغم أنّ دولةَ إسرائيل لم تقدّم شيئًا يُذْكَر، فقد استطاعَ وزيرُ الخارجيّة الأمريكيّ جَمْعَ الطّرفين على مائدةِ جولةِ مفاوضاتٍ جديدةٍ في واشنطن شهر سبتمبر 1993، وكانت كسابقاتِها من الجولات، ليزدادَ الطّينُ بِلّة عندما انكشفَ الغطاءُ عن تلك المحادثاتِ السّريةِ الموازيةِ التّي كانت جاريةً في أُوسْلُو بين وفدٍ إسرائيليّ وآخر يمثلُ منظّمةَ التّحريرِ الفلسطينية، والتّي تحوّلت لاحقًا إلى اعترافٍ متبادلٍ بين الطّرفين، ثمّ التّوقيعُ على اتفاقيةِ الحكمِ الذّاتيّ المحدّد على قطاع غزّة وأَرِيحَا كخطوةٍ أولى، ومن هناكَ وصولُ ياسر عرفات في شهر جوان 1994 إلى مدينة غزّة ليديرَ سلطةَ الحكمِ الذّاتيّ، ولتستمرَّ المفاوضاتُ بعد ذلك بين الطّرفين الإسرائيليّ والفلسطينيّ، ويتمّ التّوقيعُ على عددٍ من وثائقِ التّفاهمات، ويظهرُ في كلّ مرّةٍ أنّ الجانبَ الإسرائيليَّ على كاملِ الاستعدادِ لتقديمِ مزيدٍ من الوَهْمِ للجانبِ الفلسطينيّ، والسّببُ أنّه يملكُ القوّةَ والنّفوذَ والحلفاءَ الأقوياء، فلماذا يتنازل..؟؟

إنّ صنّاعَ القرار يدركون جيّدا، خاصّة هذه الأيّام، أنّهم أمامَ سلطةٍ ضعيفةٍ لا تمسكُ بأيّ أوراق قويّة على الإطلاق.. فَقِسْمٌ من مناطقِ نفوذِ السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ في يدِ فصيلٍ آخر يملكُ زمامَ الأمورِ ويديرُ السّياسةَ والاقتصادَ وحتّى الحرب، وله اتّصالاتُه وعلاقاتُه القويّة مع دولٍ عربيةٍ وإقليميّةٍ فاعلة.. والفسادُ الماليُّ قد عَمِلَ عَمَلَه في جسمِ السّلطةِ، وخيوطُه وأسرارُه في يدِ الجانبِ الإسرائيليّ يسرّبُ منها لوسائلِ الإعلامِ ما يريدُ ومتى

يريد.. وأغلبُ الأنظمةِ العربيّةِ بين متفاعلٍ بإخلاصٍ مع المشروع الأمريكيّ وبين متردّدٍ أو ساكتٍ وكأنّ الأمرَ لا يعنيه.. ومفرداتُ حملِ السّلاح والعودةِ إلى خنادقِ النّضالِ لم تَعُد جزءًا من قواميسِ قادةِ السّلطة، ولو على سبيلِ الخداعِ والحربِ الكلاميّة.

إنّ القراءةَ الواعيةَ لتلميحاتِ وتصريحاتِ الإسرائيليّين في الآونةِ الأخيرةِ تظهرُ أنّ سوريا كانت بارعةً في إدارةِ المعركةِ عندما وضعت الإسرائيليّين في موقفِ المتلهّفِ للمفاوضات مع الجانب السّوريّ.. هذا الأخيرُ الذّي بادرَ، خلال السّنوات الماضية، إلى وضعِ يده على عناصرِ قوّةٍ وأوراقِ لَعِبٍ رابحة.. فالعلاقةُ مع إيران راحت تتطوّرُ باستمرارٍ على جميع الأصعدة، والفصائلُ الفلسطينيّةُ المُقَاوِمَةُ تجدُ الأرضَ والدّعمَ والتّأييدَ والمنابرَ في سوريا، وحتّى الجارة تركيا رأت فيها دمشق ورقةً مهمّةً بعد أن أظهرت حكومةُ حزب العدالة والتّنمية أنّها ليست في واردِ المضيّ دون شروطٍ في علاقاتِ السّمنِ والعسلِ مع دولة إسرائيل.

لقد اجتمعَ وزراءُ الخارجيةِ العرب مؤخرًا، أو العددُ الذّي حضرَ منهم بالأحرى، واتّفقوا على دعمِ المفاوضاتِ الفلسطينيّة غير المباشرة مع إسرائيل..!!

فهل كان ذلك مجرّد مسايرةٍ للسّيد الأمريكيّ..؟؟

أم أنّ أوراقًا عربيةً رابحةً جديدةً دخلت فعلاً معادلةَ الصّراع، واستعادَ القادةُ العربُ جُرْأَتَهُم ليساهموا في قَلْبِ موازين العلاقات الدّوليّة الجائرة..؟؟؟

بعد الدّرس.. هل يستيقظُ العرب..؟

كان نائبُ الرّئيسِ الأمريكيّ صريحًا جدا في مواقفه خلال زيارته لدولة إسرائيل قبل أيّام.. صراحةٌ تجلّت من خلال إعلانِه عن حجمِ المساعداتِ العسكريّةِ الهائلةِ التّي تقدّمُها إدارتُه للدّولة العِبريّة، وحِرْصُها على أن تظلَّ الأقوى بين دول المنطقة من خلال المناوراتِ المشتركةِ والتّعاونِ في أنظمةِ الدّفاعِ الصّاروخيّة.

لقد كانَ جُو بايدن كريمًا جدًا في تصريحاته عندمَا أكّدَ، بعد لقائه الرّئيس الإسرائيليّ شمعون بيريز، أنّ بين البلدين تفاهمًا كاملاً حول أمنِ إسرائيل،

وحتّى حول سمعتها العالميّة عندما وصفَ الحملاتِ التّي تُدين جرائمَها بمحاولة عزلها عن العالم.

أصحابُ الضّيافةِ كانوا أيضًا في مستوى صراحةِ الضّيفِ وأكثر، فرئيسُ الوزراء بنيامين نتنياهو قال إنّ بايدن صديقٌ كبيرٌ لإسرائيل، وصدقَ الرّجلُ في ذلك، وإن كان كَذُوبا، فلو كان الأمرُ خلافَ ذلك لما تجرّأَ وزيرُ الدّاخليّة في حكومته على الإعلان عن مشروعٍ استيطانيٍّ جديدٍ في محيطِ القدس الشّرقية المحتلّة يصلُ تعدادُ وحداته السّكنية إلى ألفٍ وستّمائة.

لقد اعتبرَ الكثيرون الإعلانَ خلال زيارةِ جو بايدن لإسرائيل والسّلطة الفلسطينيّة إهانةً للرّجلِ والإدارةِ الأمريكيةِ بأكملها، لكنّ الحقيقةَ شيءٌ آخر على ما يبدو، وهي أنّ وراءَ الأمرِ رسالة واضحة لكلّ من يعنيهم الأمر من الفلسطينيّين والعرب، وهي أنّ إدارةَ أُوبَامَا مثل سابقاتها، حيث لا تتحدّثُ عن الحقوقِ إلاّ من بابِ المجاملات، ولا تضغطُ على إسرائيل بأكثر من تلك التّلميحات اللّفظيّة التّي تَقْبَلُ القراءةَ عبر أكثر من زاوية، وهكذا يرى فيها العربُ دعمًا لقضيّتهم، ويرى فيها غيرُهم جولةً أخرى من جولاتِ إدارةِ الصّراعِ في المنطقة والعالَم..!!

أدانت جهاتٌ دوليةٌ كثيرةٌ إعلانَ إسرائيل عن المشروع الاستيطانيِّ الجديد، حيث شَجَبَ الاتّحادُ الأوروبيُّ واستنكر، وصرّحت وزيرةُ الخارجيّة الأمريكيّة هيلاري كلينتون وتحدّثت عن انزعاجها لهذا التّطوّر الجديد، وبلغَ الأمرُ حدّ استدعاء السّفير الإسرائيليّ في واشنطن للاحتجاج..؟؟

والعربُ من جانبهم ندّدوا وشجبوا، والسّلطةُ الوطنيّةُ الفلسطينيّةُ رفضت المشروعَ الجديدَ ورحّبت بالمواقف الأوروبيّة والأمريكيّة المستنكِرة لهذا العدد الكبير من الوحدات الاستيطانيّة التّي تنوي إسرائيلُ تشييدها.

مواصلةُ الاستيطان كان حَجَرَ الزّاوية في الجدل السّياسيّ خلال الشّهور الماضيّة، وكان السّببُ المُعْلَنُ وراء توقّفِ المفاوضاتِ الإسرائيليّةِ الفلسطينيّةِ، حيث كان محمود عبّاس يشدّدُ على ضرورة وقفِ أيّ نشاطٍ استيطانيٍّ لبدء المحادثات، ويُعَوِّلُ في ذلك على دعمٍ أمريكيٍّ لأنّه يدركُ، مثل غيره، أنّ كثيرًا من خيوطِ اللّعبةِ في واشنطن وليست في تل أبيب.

والآن هاهي إسرائيل تُشْهِرُ أقوى أوراقها على الإطلاق، وتعلنُ أنّها ماضيةٌ في مشاريعها الاستيطانيّة متجاهلة التّحفّظ الأمريكيّ المُعْلَن على الأقّل، فهل ظلّ بين أيادي العرب شيءٌ يهدّدون به..؟؟

إنّ جموعًا من السّياسيين والزّعماء العرب ما زالوا يحسنون الظّنّ في إدارة البيت الأبيض، ويتوقّعون أن تتحوّلَ يومًا ما إلى وسيطٍ حياديٍّ نزيه، أو ما يشبه ذلك على الأقلّ..!!

وهاهي (جَهِيزَةُ تقطعُ قولَ كلّ خطيب) على حدّ تعبير المثل العربيّ الشّهير، وهاهي إسرائيل تقدّمُ مرّةً أخرى درسًا مجانيًا للعرب وتُفْهِمُهُم بصريح العبارةِ أنّها والولايات المتّحدة الأمريكية (وجهان لعملةٍ واحدة) في طرقِ المراوغاتِ وأساليبِ تحدّي العربِ والفلسطينيّين أصحاب الأرض والحقّ.

لقد حان زمانُ اليقظةِ وآن الأوانُ للعربِ أن يطرحوا أَرْدِيَةَ النّومِ والغفلةِ ويبحثوا بذكاءٍ وإخلاصٍ عن الجهةِ التّي تُؤْكَلُ منها الكَتِف، ويتحرّوا عن تلك

اليدِ التّي تؤلمُ الولايات المتّحدة وتصنعُ منها مستمعًا جيّدا يسارعُ بعد ذلك إلى تعديل كفّتَيْ الميزان والتّوبة النّصوح عن خطايا الكيل بمكيالين.

إنّ الإدارةَ الأمريكيةَ أسيرةٌ رغم دعوتها إلى الحرّيات وحقوق الإنسان وحملها لرسالة تحرير الشّعوب المضطهدة كما تدّعي، وإنَّ أيَّ رئيسٍ أمريكيٍّ مقيّد اليدين بفعل تلك التّرسانة الكبيرة من المؤسّسات والمصالح والشّركات العملاقة واللّوبيّات التّي تملكُ تجارب طويلة في التّعامل مع السّياسيّين الأمريكيّين وغيرهم.

وقد نجدُ بين رجالاتِ الإدارةِ الأمريكيّةِ الحاليّةِ من يحملُ في صَدْرِه خيرًا للعرب والفلسطينيّين ويؤمنُ بحقّهم الذّي يشهدُ به التّاريخ وتدعمُه حقائق الجغرافيا... لكنّ الظّاهرَ من قواعدِ اللّعبةِ هناك أنّ الإفصاحَ عن تلك العواطف محرّمٌ، خاصّة بعد أن صارت معطياتُ بلداننا العربيّة ومواقفُنا لا تُرْعِبُ عدوًا ولا تشجّعُ صديقا..!!

إنّ قضيّةَ فلسطين في حاجةٍ إلى كلماتٍ ومواقفَ عربيّة قويّة تصلُ تِباعًا إلى البيت الأبيض، وتقرعُ آذانَ سَاكِنِيه، وتُفهِمُهُم أنّ زمنَ التّبعيةِ قد ولّي إلى غير رجعة، وأنّ مصالحَهم لن تظلّ محفوظةً إلى الأبد.. ما دامت إسرائيل ابنةً مدلّلةً للولاياتِ المتّحدةِ الأمريكية.

السّفينة.. هل يقودها السّودان..؟

أكبرُ البلدان العربية مساحةً وأكثرها سياسةً وسياسيّين، وعددُ السكان فيها معتبرٌ فهو يقاربُ خمسةً وثلاثين مليون نسمة، والثّرواتُ تحت الأرضِ وفوقَها متنوّعةٌ ووفيرةٌ لو وجدت التّفاهمَ والوئامَ والأيادي التّي تستغلُّها بسلام.. فهل يُكتبُ لذلك البلد العربيّ أن يقودَ سفينةَ العربِ التائهة إلى شاطئ الأمان..؟؟

إنّه السّودان ذلك القطر العربيّ الأفريقي الذّي استقلّ عن الوصاية المصريّة البريطانيّة في منتصف خمسينيّات القرن العشرين... وظلّ منذ ذلك الحين يزاوجُ في حياته وتطبيقاته السّياسيّة بين أسلوبيْ حكم أحلاهما مرّ..!!

فهو تارةً بين يديْ أحزابٍ متآلفةٍ متنافرةٍ يكيدُ بعضُها لبعض، وتارةً أخرى بين يديْ جنرالاتِ الجيشِ بعدَ أن تُغريهم السّياسةُ ويلعبُ برؤوسهم السّياسيون، ويزيّنوا لهم الخروجَ من الثّكناتِ والولوجَ إلى قصورِ الحكم والجلوس على كراسيه الوثيرة.

إنّه السّودان وموعدُه الحاسمُ مع الانتخابات، وذلك الجدلُ الدّائرُ حولها بين حزبِ المؤتمر الوطنيّ الحاكم وأحزابِ المعارضةِ على اختلاف ألوانها وأشكالها ورایاتها ومرجعياتها وعلاقاتها وتحالفاتها الدّاخلية والخارجيّة، وبُعدِها أو قربِها من الرّئيس الفريق عمر حسن البشير وأركانِ حكومته..؟؟

الجدلُ يدورُ حول تأجيلِ الانتخاباتِ حيث تطالبُ أكثرُ أحزابِ المعارضةِ بتأخيرِ موعدها عدّة أشهر لأكثر من سببٍ وسبب كما تقول، بينما تصرّ الحكومةُ وبعضُ مَنْ في صفّها على إجرائها في موعدِها الذّي لم يعد بعيدا، وترى في ذلك عينَ الصّوابِ ورأسَ الحكمةِ ومصلحةَ البلاد والعباد.

حُمّى الصّراع الانتخابيّ تتزايدُ، ويتزايدُ معها التّراشقُ الإعلاميّ بين الطّرفين الرّئيسيّين في المعادلة السّياسيّة، وهما الحزبُ الحاكمُ وبقيةُ أحزابِ المعارضةِ التّي راحت تركّزُ على شخصيّة الرّئيس البشير وخَطَرِه على السّودان، كما يقولُ بعضُ أقطابِ المعارضة.

فالرّجلُ حسب رأيهم هو رائدُ المشروعِ العربيّ الإسلاميّ الذّي عمّقَ الفكرَ الانفصاليَّ لدى الجنوبيّين المسيحيّين، وجعلَ بلادَ السّودان الشّاسعة عرضةً للانقسام بلغةِ السّلاح سابقا، وعبرَ صناديقِ الاقتراع والاستفتاءِ لاحقا.

ويمكنُ للمراقبِ أن يغضّ الطّرفَ بعض الشّيء عن ملاسنات السّياسيّين خاصّة أيّام المواسم الانتخابيّة، لأنّ أكثرَ ذلك من لوازمِ الحملاتِ الانتخابيّةِ والدّعاية الحزبيّة في هذا العصر، حين صارَ الصّعودُ في مدارجِ الحاكمين يمرّ حتمًا عبر الكَيْد للخصومِ ورميهم بأشنعِ الأوصافِ وأبشع النّعوت..!!

لكنّ الحقيقةَ التّي يصعبُ التّغافلُ عنها، مهما أسهبنا في الحديث عن النّوايا الحسنة والسّيرة الطّيّبة للرّئيس السّودانيّ وبعض من حوله، تُقَرِّرُ أنّ عشرين سنة في الحكم كافيةٌ جدًا للتّدليلِ على النّجاحِ أو الفشلِ بالنّسبةِ لأيّ رئيسٍ أو حزبٍ أو مجموعةٍ انقلابيةٍ عسكريةٍ وما شابَهها.

إنّ الرّئيسَ السّودانيّ عمر حسن البشير وصلَ إلى سدّة الحكمِ عبر انقلابٍ عسكريّ في الثّلاثين من جوان عام 1989، وظلّ على كرسيّه ثابتًا لا يتزحزحُ ولا يفكّرُ في الاستقالةِ أو الاعتذارِ عن الترشّح شأنه في ذلك شأن أغلب الزّعماء العرب المعاصرين، وراحت السّنونُ تتدحرجُ مع مسيرةِ السّودان، وراحت المشاكلُ والعقباتُ تزدادُ وتأخذُ ألوانًا وأشكالاً جديدةً في الجنوب والشّمال والشّرق، كما ظلّت المضايقاتُ والتّدخّلاتُ الدّوليةُ تتلوّنُ حسب الظّروفِ وحالاتِ القوّة والضّعف التّي تمرّ بها حكومةُ الخرطوم.

إنّ مواقفَ الرّئيسِ عمر البشير ومجموعته في الدّفاعِ عن بلادِه وكرامتِها عادلةٌ وقد لا تشوبُها شائبة، كما أنّ المؤامراتِ الدّوليّةَ على السّودان لتحجيمه وتقسيمه صارت واضحةَ المعالم، وبصمات القوى الدّولية في مواضع الشّبهات لم تعد خافيةً على أحد.

لكنّ مشكلةَ السّودانِ تكمنُ في المدافعين عنه أمام خصومه حيث لم يعودوا مؤهّلين لهذا الدّور إذا أجَزْنَا لأنفسنا الحكمَ بأهليّتهم من الأساس، وفي بداية حكمهم وعنفوان ثورة الإنقاذ، وتلك الشّعارات العظيمة التّي جاءت بها سواء ما تعّلقَ منها بالهويّة والمرجعيّة أو الثّروة والاقتصاد والسّيادة..؟؟

إنّ الانتخابات السّودانية فرصةٌ كبيرةٌ للتّحرّر من وَهْمِ الحُكْمِ الفرديّ في العالم العربيّ، ومن ثمّ الانطلاق نحو فضاءات رحبة من التّداول السّلميّ على السّلطة، والدّيمقراطيّة الحقيقيّة التّي تفتحُ المجالَ أمام أيّ فردٍ كائنًا مَنْ كَانَ لخدمة البلاد بعد الظّفر بأصوات العباد.

وحتّى لو سكنَ الرئيسُ السودانيُّ عمر حسن البشير قلوبَ جميع المواطنين السّودانيّين، وأظهرَ هؤلاء أنّهم لا يبغون عنه بديلا، وأبانت الصّناديقُ أنّه كان الأجدر بالفوز دون تسرّب خيطٍ واحدٍ من الشّك، وحتّى لو سكتت المعارضةُ عن ذلك وسلّمت بالأمر... حتّى لو حدث جميعُ ذلك فإنّ النّتيجةَ خسارةٌ مُرّةٌ للسّودانيّين والعرب أجمعين..!!

وفي المقابل لو نجحَ السّودانُ في الامتحان وحدث تغييرٌ ديمقراطيٌّ، وتداولٌ حقيقيّ على السّلطة وسلّم به الجميع؛ فستكونُ بدايةُ مرحلةٍ جديدةٍ في تاريخ العرب المعاصر.. لأنّ النّجاحَ يقودُ إلى نجاحاتٍ أخرى، والعَدْوَى ستنتقلُ حتمًا إلى شعوبٍ وحكوماتٍ عربيّة في المشرق والمغرب.

قمّة سِرْت والجِوار وأردوغان..؟

الزّعيم اللّيبيّ معمّر القذافيّ كان النجمُ الأبرز في كلّ القمم العربيّة التّي حضرها خلال السّنوات الماضية، وكانت نُجُومِيّتُه تتجلّى كلّ مرّة بشكل مختلف.. فَمِنْ تفجِيرِه لقنابل كلاميّة حول مواضيع يُحْجِمُ الجميعُ عن الخوض فيها، إلى صراحته في الحديث عن الشّعوب والحكّام، وصولاً إلى خصوماته أو مصالحاته مع هذا الزّعيم العربيّ أو ذاك.

روح الدّعابة التّي كان يضفيها حضورُ القذّافيّ على القمم العربيّة، وهو ضيفٌ عند غيره، جعلت الأعناقَ تشرئبُّ نحو قمّة (سِرْت) اللّيبيّة التّي

جمعت قبل أيّام شَمْلَ عددٍ معتبرٍ من الملوك والرّؤساء العرب، وضيوف آخرين من الشّرق والغرب.

اشرأبّت الأعناقُ وحُقّ لها ذلك، وراحت خيالاتُ البعض تسرحُ وتمرحُ فيما يمكن للزّعيم معمّر القذّافيّ طرحَه من قضايا شديدة الحساسيّة، وحول تلك المفاجآت التّي سيفجّرها وهو رئيس القمّة، وصاحب الضّيافة الفخمة التّي ظهرت في المطار، والخيمة البدويّة وقاعة المؤتمر والاستعراضات التّقليديّة المتميّزة.

والحقيقة أنّ ذلك الانتظار والتّرقّب الذّي سبق القمّة لم يذهب أدراج الرّياح، فَقِيَاسًا بخطابات ومداخلات القمم الماضيّة، وبعد أن نتسلّحَ بقسطٍ وافرٍ من الواقعيّة المفرطة؛ نجد قمّة (سِرْت) متميزةً، ولو كان هذا التّميزُ دون المستوى الذّي تطمحُ إليه الشّعوبُ العربية..؟؟

بدأ التّميّزُ من خلال كلمةِ رئيسِ القمّةِ الماضيّة الشّيخ حَمَد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر الذّي تجاوزَ العبارات التّقليديّة المستهلَكَة، وراح يصارحُ الحضورَ حول عددٍ من قضايا السّاعة، وزاد التّميّزُ والوضوحُ عندما تسلّم الزّعيمُ القذافيّ رئاسةَ القمّة، وشرعَ في الحديث ليفجّرَ أُولَى المفاجآت وهو يوجّهُ الكلامَ للرّؤساء والملوك العرب، ويعلنُ أمامهم أنّ قرارات القمّة المتوقّعة لن تجدَ قبولا من الشّعوب، وأنّ الجماهير ماضية إلى الأمام..!!

تحدّثَ الرّجلُ بإسهاب، وكانت الخلاصة أنّ الشّعوبَ قد تجاوزت الحكومات..!!

وتجلّت المفاجأةُ الثّانيةُ في سكوت الرّؤساء والملوك العرب وهم يستمعون إلى عباراتٍ تشكّكُ في صدقيّةِ تمثيلهم لشعوبهم، كما يَفْهَم كلّ مستمع، ولو كان من محدودي الذّكاء..!!

مفاجأةٌ خطيرةٌ خاصّة والكلام على الهواء مباشرة، والأخطرُ من ذلك سكوتُ القادةِ العرب.. فهل كانوا على وفاقٍ تامّ مع الزّعيم اللّيبيّ في مذهبه بأنّ الحضورَ الرّسميَّ لا يمثلُ الثّقلَ الشّعبيَّ العربيّ..؟؟

وإن كان الجواب بالنّفي، فلماذا لم يعارضوه في مقولته تلك، ويعيدوا الأفهامَ إلى صوابها قبل فوات الأوان..؟؟

استمرّ التّميّزُ بعد ذلك عند كلمة الأمين العام للجامعة العربيّة عمرو موسى الذّي راح يتحدّثُ عن دراسة الخيارات الممكنة أمام الدّول العربية في حال فشل عملية السّلام مع إسرائيل، وحديثه بهذا المستوى يُعَدُّ شجاعةً فائقةً قياسًا بما كُنّا نسمعُه منه خلال القمم الماضيّة، وعباراته المكرورة الممجوجة حول السّلام خيار العرب الاستراتيجيّ..!!

والأهمّ من ذلك، وهو ما قد يؤسّس لتقدّم كبير على المدى المتوسّط والبعيد، هو دعوة الأمين العام، وتأييد كثيرين له، إلى إقامةِ رابطةٍ للجوارِ العربيّ ستكونُ ضمنها بالتّأكيد دولٌ فاعلةٌ مثل إيران وتركيا وما لهما من روابط مع العربِ ماضيًا وحاضرا، كما تضمُّ دولاً إفريقيّة، ولن يكون فيها مكان لدولة إسرائيل.

قمّةُ (سِرْت) تميّزت أيضا بدعوةِ رجب طيّب أردوغان رئيس وزراء تركيا وحديثه الشّجاع عن قضيّة فلسطين ووحدة المصير بين تركيا ودول العالم

العربيّ، وتأكيده على أنّ الطّرفين كَتَبَا في الماضي تاريخًا واحدًا، ويمكن أن يصنعَا مستقبلاً مشتركا.

حضور أردوغان، مع استمرار مناوشاته الكلامية مع الإسرائيليّين، حَمَل دلالةً قويةً مفادُها أنّ الجامعة العربيّة انتقلت إلى مرحلة التّفكير بشكلٍ أقربَ إلى الاستراتيجيّة، وبدأت تتصرّفُ بمعزلٍ عن مراعاة مشاعرِ الحلفاءِ الأمريكيّين، فضلا عن مسايرة بعض دول ما يُسمّى الاعتدال العربيّ.

إنّ حضور أردوغان، وما يمثّله من تجربةٍ ديمقراطيةٍ متعدّدةِ الجوانب والأبعاد، سيكونُ له أثره المستقبليّ على تركيبة التّحالفات الإقليميّة، لأنّ حضورَه قد جسّدَ الاعترافَ العربيَّ الضّمنيَّ بأهميّة وضرورة التّحالف العربيّ التّركيّ، كما عبّرَ عن تقدير العرب للمرحلة السّياسيّة المتقدّمة التّي وصلت إليها تركيا بعد تجربةٍ طويلةٍ مريرةٍ مع سيطرة الجيشِ على توجّهات ومقدّرات البلاد.

لقد ورث أردوغان، وحزبُه، تَرِكَةً خارجيةً ثقيلةً على رأسها تلك العلاقة المشؤومة مع إسرائيل، لكنّه بدأ يعملُ في هدوء مع بعض الدّول العربية، ويوطّدُ علاقاته مع عمقه التّاريخيّ، ونجحَ في ذلك إلى حدّ كبير رغم ضيق مساحة التّحرك وازدحامها بالألغام والحفر والمزالق..؟؟

لقد حدّدَ أردوغان الهدفَ وراح يجتهدُ من أجل تحقيقه، ويمكنُ لعددٍ معتبرٍ من الدّول العربية أن تستفيدَ من التّجربةِ وتحذو حَذْوَها بعد أن تحدّدَ الأهدافَ بدقّة..

فالحكمةُ تقول: (إذا عرفتَ الهدفَ فلن تُعدَم الوسيلة).

موسمُ الهجرة إلى السّودان

فجأة ودون مقدّمات كبيرةٍ أدارت الإدارةُ الأمريكيةُ ظهرَها لسنواتٍ طويلةٍ من الكرّ والفرّ مع النّظام الحاكِم في الخرطوم، وأماطت اللّثامَ عن وجهٍ جديدٍ تكسُوه البشاشةُ، وكانت أبرزُ تجلّياتِ هذا الوجه هو التّوافقُ التّامّ بين الطّرفين على ضرورة إجراء الانتخابات السّودانية في موعدها المقرّر.

لقد زارَ سكوت غريشن، المبعوث الأمريكيّ إلى السّودان، مقرّ لجنةِ الانتخاباتِ القوميّةِ في الخرطوم قبل عدّة أيّامٍ من انطلاق عملياتِ التّصويت، وغادرَ اللّجنةَ راضيَ النّفسِ مطمئنًا إلى أنّ الانتخاباتِ ستجري في الموعدِ

الذّي يصرُّ عليه المؤتمر الوطنيّ الحاكِمِ بزعامة الرّئيس عمر حسن البشير، بينما تطالبُ بعضُ أطرافِ المعارضةِ بتأجيلِ الموعدِ أو تمديدِ فترةِ التّصويت.

تحدثّ المبعوثُ الأمريكيّ للصّحافيّين أمام لجنةِ الانتخاباتِ مؤكّدا أنّها ستكونُ "نزيهةً وشفّافةً قدر الإمكان" لأنّ أعضاءَ اللّجنة مَنَحُوه الثّقةَ بالعمليّة الانتخابيّة على حدّ تعبيره..!!

لقد حافظت السّياسةُ الأمريكيّةُ خلال العقدين الماضيين على مسافة شبهِ ثابتةٍ من النّظام الحاكم في الخرطوم، وكانت الاتّهاماتُ المتبادَلَةُ بين الطّرفين هي الطّابع المميّز لأكثر منعطفاتِ ومراحلِ تلك الفترة، وظلّت قوى المعارضةِ الشّماليّةِ تعيشُ أحلى سنواتها مع واشنطن، أمّا ساسةُ الجنوب والحركة الشّعبية لتحرير السّودان فحدّث عن علاقتهم الحميميّة مع أمريكا ولا حرج..!!

أبدت الإدارةُ الأمريكيّةُ دائمًا عدم رضاها عن الرّئيس البشير، وطريقةِ حكمهِ وأساليبِ تعامله مع قضايا الجنوب في البداية، ثمّ دارفور المشكلة الشّائكة خلال السّنوات القليلة الماضية.

وهاهو الرّئيس البشير يخوضُ غمارَ الانتخاباتِ بتفوّقٍ واضحٍ على أقرانه حيث يجولُ ولايات السّودان شرقًا وغربًا وشمالاً، وَوَرَاءَه ترسانةٌ قويّةٌ من وسائلِ الإعلامِ التّي تعاقدَ معها الحزبُ الحاكمُ لِنَقْلِ جميع تفاصيلِ الحملةِ الانتخابيّة، وتغطيّة تحرّكاتِ البشير ومهرجاناته وخطاباته الحماسيّة، وحتّى رَقَصَاتِه الشّعبيّة وهو يشاركُ هذه القبيلة أو تلك فلكلورَها وتقاليدَها..!!

إنّ أمريكا التّي تراقبُ الانتخاباتِ السّودانيةَ باهتمام بالغٍ تدركُ أنّ حظوظَ البشير وحزبه كبيرةٌ في الفوز، ومع ذلك تجاهلت بلباقةٍ قلقَ أحزاب المعارضة وكأنّها تباركُ مسبقًا فوزَ الرّجل وحزبه..!!

كما أدارت الحركةُ الشّعبيةُ لتحرير السّودان فصولَ اللّعبة بإتقان عندما سحبت مرشّحها للرّئاسة في آخر المطاف، وتركت الميدانَ فسيحًا للبشير، وكانت الرّسالةُ واضحةً للجميع وهي أنّ عينَها ليست على الخرطوم، وإنّما على جُوبَا عاصمة الجنوب والجنوب فقط.

إنّ الانتخاباتِ السّودانيةَ الحاليةَ هي أحدُ استحقاقاتِ اتفاقيةِ (نِيفَاشَا) التّي أنهت الصّراعَ المسلّحَ بين الشّمال والجنوب، وأدخلت البلادَ في مرحلةٍ انتقاليّةٍ مدّتها خمس سنوات يتقاسمُ فيها المؤتمرُ الشّعبيُّ (الشّماليّ) الحكمَ مع الحركةِ الشّعبيةِ (الجنوبيّة) وتكونُ خاتمتُها انتخاباتٌ عامّةٌ ثمّ استفتاءٌ شعبيٌّ يقولُ فيه أهلُ الجنوب كلمتَهم، وإن كانوا يفضّلون البقاءَ ضِمْنَ سودانٍ موحّدٍ أو الانفصال وتأسيس دولتهم المستقلّة..؟؟

لقد أدار الجنوبيّون الصّراعَ خلال السّنوات الماضيّة بكثيرٍ من الذّكاء والحِنكة، وحاولوا دائمًا الحفاظَ على (شَعْرَة مُعَاوِية) بينهم وبين شريكِهم في الحكم، وظلّوا يُدَحْرِجُون الخلافاتِ والإشكاليّاتِ سنةً بعد أخرى رغبةً في الوصولِ إلى المحطّاتِ النّهائية، وبينها الانتخابات العامّة التّي تمهّدُ للاستفتاء في الجنوب مطلع العام القادم.

وحتّى وهم ينسحبون من سباقِ الرّئاسيّاتِ راحوا يهيّئون الرّأيَ العامَّ السّودانيَّ والعربيَّ لأسوأ الاحتمالاتِ وهو تقسيمُ السّودان، وذلك عندما

أعلنَ ياسر عرمان، مرشّح الرّئاسة الجنوبيّ المنسحِب، أنّه يحمّلُ المؤتمرَ الوطنيَّ الحاكمَ في الخرطوم مسؤوليةَ دفع الجنوب إلى الانفصال.

وتأسيسًا على كلّ ما سبق من معطيات هل يمكن التّشكيكُ في وُجُودِ نيّةٍ أمريكيّةٍ مبيّتَةٍ لتَهْيِئَةِ الأجواء حتّى يَنْشَطِرَ السّودانُ إلى شمالٍ وجنوب..؟؟

قد يتعذّرُ توجيهُ اللّومِ لأيّ طرفٍ حول حقّه، وفق الأعراف السّياسيّة السّائدة حاليا، في أن يلعبَ كما شاء ومتى شاء وبما شاء، خاصّةً أنّ قاعدة (الغاية تبرّر الوسيلة) هي السّائدةُ بين أغلبِ صانِعي السّياساتِ الدّوليةِ والإقليميّة؛ لكنّ الطّرفَ المتضرِّرَ ممّا يحدثُ هو الذّي يقعُ عليه واجبُ الحركةِ عاجلاً، وعتابُ التّاريخ آجلا...

وهو في الحالة السّودانية عَالَمُ العربِ بجميع دُوَلِه خاصّة ذات الثّقل السّياسيّ والماليّ والشّعبيّ.

إنّ الحركةَ الشّعبيةَ لتحرير السّودان كانت يساريةَ التّوجهِ عندما انطلقت عام 1983، وبعد سقوط الاتّحاد السّوفيتيّ عدّلت خطابَها لتنسجَ به علاقاتٍ وثيقةً مع الولايات المتّحدة والدّول الأوروبيّة، وهي بالتّالي ليست عصيّةً على العرب لو أرادوا.

فهل تتحرّكُ المساعداتُ والأموالُ والاستثماراتُ العربيّةُ إلى السّودان وجنوبه خلال الأشهر القادمة لتغيير أطرافِ المعادلة، وسَكْبِ الأَمَلِ في قلوب الجنوبيّين وإقناعهم بأنّ البقاءَ مع السّودان العربيّ الموحّد هو القرارُ الأصوب..؟؟

نتمنّى أن يتابعَ العالَمُ قريبًا موسمَ هجرةِ الاهتمامِ والدّعمِ العربيِّ نحو السّودان وجنوبِه.

العراق.. بين الغاية والوسيلةَ

بعد مقدّماتٍ سياسيّةٍ مشفّرةٍ عادت التّفجيراتُ المثيرةُ إلى شوارعِ عاصمةِ الرّشيد بغداد، وملأت سيّاراتُ الإسعافِ والدّفاعِ المدنيّ الطّرقاتَ من جديد معلنةً حالةَ الطّوارئ القُصْوَى في صفوفِ طواقمها، وخيّمَ القلقُ الشّديدُ على المواطنِ العراقيّ العاديّ مرّةً أخرى بعد أن استبشرَ خلال الأشهرِ الأخيرةِ بتناقص أحداثِ العنفِ إلى حدودٍ قياسيّة.

الأحداثُ المؤلمةُ الأخيرةُ جاءت بعد نتائجِ الانتخاباتِ التّشريعيّةِ التّي شهدَها العراقُ الشّهر الماضي[1].. تلك العمليّةُ الانتخابيّةُ التّي غيّرت صورةَ المشهدِ السّياسيِّ العراقيِّ عمّا كان عليه خلال السّنوات الخمس الماضية.

[1] - مارس 2010.

تغييرٌ ليس جوهريًا من النّاحيةِ العدديّةِ البَحْتَة، لكنّه مهمّ جدا من ناحية الدّلالة الرّمزية، فقد كشفَ القناعَ عن توجُّهٍ شعبيٍّ قويٍّ يتوقُ إلى الانعتاقِ من اخطبوط الطّائفيّة والتّقدّم بخطواتٍ ثابتةٍ نحو دولة المواطنة الكاملة.

القائمةُ الأولى التّي فازت بأكبر عددٍ من مقاعد البرلمان العراقيّ هي قائمة (العراقيّة) بزعامة رئيس الوزراء الأسبق أيّاد علاّوي، فقد حصلت على واحد وتسعين مقعدا، وكان الفارقُ بينها وبين القائمة المنافِسة الرّئيسية لها هو صوتان اثنان لا أكثر، حيث حصلت قائمةُ دولة القانون، التّي يتزعّمُها رئيسُ الوزراء المنتهية ولايته نوري المالكيّ، على تسعةٍ وثمانين مقعدا.

التّنافسُ كان شديدًا بين قائمتيْ علاّوي والمالكيّ، والفرقُ كان طفيفًا لكنّه أثارَ هواجسَ ومخاوفَ كبيرةٍ في أوساطٍ عراقيّةٍ داخليةٍ عزفت منذ سقوط نظام صدّام حسين على وَتَرِ الطّائفيّة، واستغلّتها أبْشَعَ استغلالٍ للوصولِ إلى حصّةِ الأسدِ في البرلمان والحكومة، ومحاولة البقاء هناك لأَطْوَلِ وقتٍ مُمْكِن..!!

قائمةُ العراقيّة انتزعت المركزَ الأوّلَ إذن بعد صراعٍ انتخابيٍّ كبيرٍ، وكان عنصرُ القوّة الذّي أَهَّلَهَا للفوز هو التّنوع الذّي طَبَعَ قوائمَها، حيث ألغت الحساباتِ والرّهاناتِ الطّائفيّةَ وراحت تستقطبُ سياسيّين ووجهاء وشيوخَ عشائر من السّنّة والشّيعة جنبًا إلى جنب، بعد أن رفعت لواء العراق الموحّد الذّي يسعُ الجميع، وتسودُه روحُ التّسامح والتآخي بين مختلف مكوّناته العرقيّة واللّغويّة والمذهبيّة والدّينيّة.

قد يصعبُ التّكهنُ بما ستحقّقُه قائمةُ العراقيّة للعراقيّين، وقد تقعُ في مشاكل ومطبّات كما وقع غيرُها، وقد يظهرُ بين قياديّيها انتهازيّون ونفعيّون

وحتّى عملاء لهذه الجهة الدّولية أو تلك، فضلا عن الارتباطات والتّحالفات الجواريّة والإقليميّة.. قد يحدثُ كلُّ ذلك لكنّ الفكرةَ التّي ارتكزت عليها القائمةُ العراقيّة جديرةٌ بالاحترامِ والتّشجيعِ من جميع الجهاتِ التّي تدعمُ العراقَ بصفاءٍ، وتنشدُ الأمنَ والسّلامَ لشعبه، وترى مستقبَله الحقيقيّ في دولة المواطنة والقانون.

فازت قائمةُ الدّكتور إيّاد علاّويّ بالمركز الأوّل فثارت مخاوفُ الطّائفيّين، وتحرّكت جحافلُهم ونشطت مخطّطاتُهم البديلة، ولم تلبث أن خرجت إلى العلنِ عبر تصريحاتِ نوري المالكيّ وهو يحذّرُ من عودةِ العنفِ إذا استلمَ من سمّاهم البعثيّين الحكمَ من جديد في العراق..؟؟

وهو يشيرُ بذلك إلى قائمة العراقيّة التّي ضمّت في قوائمها قياداتٍ كانت يومًا ما ضِمْنَ حزبِ البعثِ العراقيّ، ومنهم رأس القائمة إيّاد علاّويّ الذّي بدأَ حياته السّياسيّة بعثيًا قبل أن يغادرَ البلادَ وينضمّ إلى معارضي حكم الرّئيس صدّام حسين.

تحذيراتُ المالكيّ، وهو على رأسِ السّلطةِ، فَهِمَها كثيرون على حقيقتها وأدركوا أنّها تهديداتٌ مباشرةٌ بأحداثِ عنفٍ سوف تطالُ بغداد ومناطق أخرى، ولم تَطُل الأيّامُ حين عادت التّفجيراتُ ومعها عشراتُ الجرحى والقتلى في أماكن عامّة وأسواق وقرب تجمّعات سكنيّة..!!

المالكيّ ما زال رئيسا للوزراء وخيوطُ الأجهزةِ الأمنيّةِ في يده، والجهاتُ الطّائفيّةُ التّي يمثّلُها تستحوذُ على حصّة الأسد في مختلف هياكل الشّرطة والمخابرات، وضِمْنَ صلاحيّاته تأمينُ البلاد وسدّ الثّغرات، ومع ذلك حدثت التّفجيراتُ الأليمةُ وحصدت أرواحًا بريئةً انضمّت إلى قافلة ضحايا المصالح

الضّيقة لأطرافٍ داخليةٍ ومخطّطاتٍ قريبةٍ وبعيدةٍ وراءها جهاتٌ دوليّة نافذة..؟؟

والغريبُ أنّ الجهاتِ الرّسميةَ العراقيةَّ راحت تعيدُ تلك الاسطوانةَ المشروخةَ على المواطنين ووسائل الإعلام، وتتحدّثُ عن بصماتِ تنظيم القاعدة في تلك التّفجيرات..؟؟

والسّؤال، الذّي صارَ يراودُ العقلاءَ في مثل هذه الحالات، يتّجهُ مباشرةً إلى تلك البصمات ومعناها ومغزاها وإن كانت حكرًا على القاعدة دون غيرها..؟؟

ما هي بصمات القاعدة..؟؟ أليست سيّارات مفخّخة، وانتحاريّون وضربٌ عشوائيٌّ في الأماكن العامّة..؟؟

وهل يصعبُ التّقليدُ والاقتباسُ في هذا السّياق إذا توفّرت الدّواعي الزّائفة، والأسبابُ الواهيةُ والنّفوسُ المريضة، والعناصرُ المغفّلةُ التّي يمكنُ استدراجها واستخدامها بسهولة..؟؟

(الغاية تبرّر الوسيلة).. إنّها تلك المقولةُ سيّئةُ السّمعة التّي رَوّجَ لها (نيكولو مكيافيلي) قبل قرون في كتابه (الأمير) وتحوّلت إلى إِلَهٍ يَعْبُدُه كثيرٌ من السّياسيّين في الشّرق والغرب..!!

يدمّرون ويحرقون ويقتلون ويخادعون ويزوّرون، فقط لأنّ الوسيلةَ عندهم مطلقةٌ دون وازعٍ من دين أو خلقٍ متين.

قَرْقِيزْيَا.. ما أشبه اللّيلة بالبارحة

الأيّام دُوَل، وكما تَدين تُدَان، ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك.. أمثالٌ يمكن أن تُلَخّصَ المشهدَ في جمهورية قرغيزيا، أو قرغيزستان، تلك الجمهوريّة السّوفيتيّة السّابقة.. والمشهدُ المقصودُ هنا هو شُرْبُ الرّئيسِ المخلوعِ كرمان بيك باكاييف من الكأسِ التّي سَقَى منها سَلَفَه الرّئيس أسكار أكاييف قبل خمس سنوات، والكيفيّةُ هي جماهيرٌ غاضبةٌ ترفضُ أيَّ مساومةٍ حتّى يرحلَ رئيسُ البلاد.. بعد أن طفحَ الكيلُ وزكمت روائحُ الفسادِ الأنوف.

باكاييف كان مهندسًا كهربائيًا يديرُ مصنعًا عندما كانت قرغيزيا ضِمْنَ جمهوريات الاتّحاد السّوفيتيّ، ثمّ تدرّجَ ليصبحَ رئيسَ بلديّة عام 1990،

فحاكمًا على منطقة جلال آباد، مسقط رأسه، عام 1995.. وفي عام 2000 عيّنه الرّئيسُ أسكار أكاييف على رأسِ الحكومةِ لكنّه استقالَ بعد عامين احتجاجًا على عملياتِ قمعٍ شهدتها البلاد، ومن هناك ركبَ الرّجلُ قطارَ المعارضةِ ليبتسمَ له الحظُّ في مارس 2005، أيّام الثّورة البرتقاليّة، ويصلَ إلى سدّة الرّئاسة.

وصل أكاييف إلى الحكمِ على أكتافِ الجماهيرِ التّي أحسنت الظّنَّ به ، وربّما كانت تعتقدُ جازمةً أنّ الرّجلَ محصّنٌ ضدّ الفساد، وسيكون بالتّالي ذلك الخادم الأمين للعباد والحارس الأمين على البلاد، ولعلّ الجماهير معذورة في ذلك، فالرّجلُ قد سلخَ من حياته السّياسية ثلاث سنوات في صفوفِ المعارضة، واستقالَ قبل ذلك احتجاجًا على أخطاءٍ فادحةٍ استهدفت أبناءَ الشّعب الأبرياء.

المفارقةُ حدثت بعد ذلك، وقبل أقلّ من سنتين على دخول أكاييف القصر الرّئاسيّ، وتمثّلت في أنّ الرّجلَ الذّي كان من بين قادة الثّورة البرتقاليّة والمناوئين للفساد والقمع ورَهْن البلاد للأجانب؛ انخرطَ في مساراتِ الإثمِ والخطيئةِ ذاتها بعد أن تحرّك فيه الدّاءُ الكامن، وهكذا راح يستعملُ نفوذَه لمصالح شخصيّة كما كان يفعل سَلَفُه، ثمّ أوصلَ إخوتَه إلى مناصب مرموقة، واحتكرَ هو باسم ابنه جزءا كبيرا من اقتصاد البلاد، وانزلقَ في الخطايا أكثر من ذلك عندما تلاعبَ بنتائج الانتخابات التّشريعيّة عام 2007، ومن هناك استطاعَ الفوزَ بفترةٍ رئاسيّةٍ ثانيةٍ عام 2009.

ومرّة أخرى تضيقُ الأرضُ بما رحبت على الجماهير المتعطّشة للدّيمقراطيّة الحقيقيّة والحكم الرّاشد والعدالة الاجتماعية..!!

وصَبَرَ الشّعبُ أو أُجبرَ على ذلك عدّة سنوات، وعندما نفذت أسهمُ الكنانة خرجَ إلى الشّوارع وحاصَرَ المقارَّ الحكوميةَ وتحدّى سلطات باكاييف، وقدّمَ تضحياتٍ جسيمةً حتّى أرغمَ الرّجلَ على الهروب من العاصمة بيشكيك واللّجوء إلى قريته بمنطقة جلال آباد جنوبيّ البلاد.

أُسْدِل السّتارُ على المشهدِ ولم يعد يتصدّرُ نشرات الأخبار، لكنّ ستارًا آخر أُزيحَ من جديد وعَرَّى تلك الحقيقة شبه المنسيّة وهي أنّ التغييرَ والإصلاحَ المنشود لا يتأتّى إلا بعد توافر المعطيات المناسبة والأرضيّة الملائمة عبر تطهير البيئة السّياسيّة من ميكروبات الفساد والبيروقراطيّة والخضوع والخنوع للأجانب ومصالحهم ورغباتهم.

المعطياتُ بعد الثّورة البرتقاليّة عام 2005 ظلّت نفسَها تقريبا، والعواملُ المساعدةُ على انتشار الفساد والدّكتاتوريّة لم تتغيّر..!!

وهكذا، وبعد أن تلاشت نشوةُ النّصرِ الأولى، واجهَ باكاييف الإغراءات الدّاخلية والتّدخّلات الأجنبية والعواطف العائليّة، وتحرّكت تدريجيًا رواسبُ الماضي، فوجدَ الرّجلُ نفسَه على تلك الطّريق الوسخة التّي سلكها سلفه.

وحتّى لو وصلَ إلى الرّئاسة أحدُ أولئك المتظاهرين المغمورين الذّين لم يسبق لهم الأكلُ والشّربُ على موائدِ السّياسةِ والحكم؛ فإنّ النتيجةَ ستكونُ ذاتها على الأرجح لأنّ بذورَ الفسادِ منتشرةٌ والمؤهّلات النّفسيّة لأبناء شعوبِ العالمِ

الثّالثِ ما زالت تدفعُ نحو الدّكتاتوريّة، وتساعدُها في ذلك دساتيرٌ مليئةٌ بالثّغرات، وجماهيرٌ ما زالت تجهلُ فنونَ المطالبة والمحاسبة السّلمية الذّكيّة..!!

لقد أسقطت الجماهيرُ القرغيزيّة الرئيسَ باكاييف، وغادَر البلادَ غير مأسوفٍ عليه بعد فشل محاولاته في تحريك البلاد من الجنوب، ويأسِه من حلفائه الأمريكيّين الذّين لم يُظهروا أيَّ حماسٍ لحمايته واستقباله، أو حتّى تسهيل لجوئه إلى سفارتهم في العاصمة بيشكيك ليكون في موقفٍ أقوى أمام خصومه المدعومين من موسكو..!!

لقد كان مصيرُه أشبه بمصير السّابقين كشاه إيران الذّي مات وحيدًا طريدًا، والرّئيس الباكستانيّ الجنرال برويز مشرّف الذّي تخلّت عنه واشنطن بعد أن استنفذَ مهمّتَه وصارَ عبئًا عليها..!!

رحلَ باكاييف وجاء زعماءُ الثّورة الشّعبيّة الجديدة وأغدقوا على الشّعب وُعُودَهم المعسولة، وقد يكونوا صادقين إلى أقصى درجات الصّدق فيما صرّحوا به.. لكنّهم معرّضون كغيرهم إلى الأمراض ذاتِها والمناخاتِ الموبوءة والإغراءات، ووساوس شياطين الدّاخل والخارج.

سيحالفهم النّجاح فقط عندما يريدُ الشّعبُ ذلك..؟؟

عندما يطالبُ بحقّه ويدافع عنه عبر وَعْيٍ تتّصلُ حلقاتُه عبر السّنوات والعقود، وليس مجرّد مظاهراتٍ غاضبةٍ يستغلّها ويركبُ ظهرَها كلُّ من هبّ ودبّ.

إيران.. واللّعب مع الكبار

الرّسالةُ الأولى هي السّلام والأمن والاستقرار والمحبّة، أمّا الرّسالةُ الثّانية فتشيرُ إلى أنّ دولَ المنطقةِ تمتلكُ القدرةَ على حفظِ أمنِ المحيطِ الذّي تعيشُ فيه دون مساعدةٍ أو مشورةٍ من أحد.. الجهةُ المرسِلَةُ هي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّةً على لسان سعيد جليلي الأمين العام لمجلس أمنها القوميّ، والجهةُ المُرْسَل إليها هي الجوارُ الإيرانيّ وتحديدًا دول الخليج العربيّة التّي ترتبطُ باتفاقيّات أمنيّة مع الولايات المتّحدة الأمريكية، وتستضيفُ قِسْمًا من جنودها وبوارجها وقواعدها في المنطقة.

المناسبةُ هي تلك المناورات الكبيرة التّي جَرَتْ مؤخّرا في مَضِيق هُرْمُز ومياه الخليج العربيّ (أو الفارسيّ كما تصرّ إيرانُ على تسميّته)، ودامت أربعةَ

أيّامٍ استعرضَ خلالها الحرسُ الثّوريُّ الإيرانيُّ إمكانياتِه العسكريّة، وأحْدَثَ التّقنيّات التّي وصلت من الأصدقاء أو طوّرتها شركاتٌ ومؤسّساتٌ وطنيّة.

المناوراتُ، أو رسائلُ العضلات المفتولة، شملت اختبارَ أنظمةٍ جديدةٍ في مجالِ الحربِ الإلكترونيةِ لمراقبةِ أيّ تحرّكات عسكريّة في المنطقة، واستعملت القوّاتُ المشاركةُ طائراتٍ بدون طيّار، كما قامت بإطلاقِ صواريخ، بعضُها إيرانيُّ الصّنع، على أهدافٍ بحريّة، وعلّقَ القائمون على الأمرِ بأنّ أحدَ تلك الصّواريخ قادرٌ على تدميرِ سفنٍ ضخمةٍ تزنُ ثلاثةَ آلافِ طنّ..؟؟

المناوراتُ تزامنت مع حدّةِ التّوتّر بين واشنطن وطهران حول البرنامج النّوويّ للأخيرة، والجدل والتّجاذب الشّديد الذّي يدور حوله، وهكذا يُفترضُ أن تكون مراكزُ القوّةِ الإيرانيّة، وخاصّة الحرس الثّوريّ، قد حدّدت الهدفَ جيّدا من هذا (الكَرْنَفَال) الاستعراضيّ في الخليج ومضيق هُرْمُز، وأرسلت بالتّالي رسالةً واضحةً إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإسرائيل، والمضمونُ أنّنا جاهزون لجميع الاحتمالات، وأخطرها طبعًا هو العملُ العسكريّ الذّي لوّحت به إسرائيل أكثر من مرّة وجرّبته سابقًا على شكلِ حملاتٍ خاطفة ودقيقة على المفاعل النوويّ العراقيّ قبل قرابةِ الثّلاثين عامًا، وعلى مواقع سوريّة (مشتبهة) في السّنوات الأخيرة.

اختيارُ مسرح المناوراتِ قُرْبَ مضيق هُرْمُز أعطى دلالةً واضحةً على أهميّة المكان، بعد اختيار الزّمان، حيث يمرُّ عبر هذا المضيقِ قرابةُ نصفِ الاستهلاكِ العالميّ من النّفط، ومن خلال عمليّةٍ حسابيّةٍ عفويّة ندركُ أنّ أيّ توتّرٍ حقيقيٍّ في المنطقة يؤدّي إلى إغلاقِ المضيق، وإيقافِ حركةِ الملاحة

البحريّة فيه، وتعطيلِ نشاطِ ناقلاتِ النّفط العملاقة، وبالتّالي إلحاق الضّرر بالاقتصاد العالميّ كلّه، والدّخول في أزمة قد يصعبُ التّكهّنُ بتداعياتها ونتائجها العاجلة والآجلة..؟؟

قد يبدو الأمرُ خطيرًا للغاية من خلال المعطيات السّابقة وهذه المناورات العسكريّة ونظيرتها السّياسية التّي تدورُ على مسارح العواصم الغربيّة والإقليميّة منذ سنوات، وتزيدُ وتيرتُها وتضعفُ حسب المناسبات وحسابات المصالح والمنافع لهذا الطّرف أو ذاك.

لكنّ المتأملَ في ما وراء التّصريحات النّاريّة والتّناقضات السّياسيّة العلنيّة قد يجدُ الأمرَ مختلفًا بعض الشّيء، بل إنّ ما تحتَ الطّاولةِ قد يعاكسُ بمائة وثمانين درجةً ما فوقَها، خاصّةً إذا تَمَادَيْنَا في نظريّة المؤامرة واستسلمنا بالكامل لذلك الحجمِ الهائلِ من المعلوماتِ والمعطياتِ التّاريخيّةِ والمعاصرةِ حول ثقافةِ المصلحةِ والتُّقْيَةِ الدّينيّةِ والسّياسيّةِ، وحتّى الاعتزاز المتطرّف بالعِرْق والأصلِ وما يؤدّي إليه من تجاهلٍ الآخر، وحتّى التآمر لمَحْوِه من الوجود إذا شكّل يومًا ما عَقَبَةً على طريق (الأحلام القوميّة الكبرى)..!!

إنّ القوّات الأمريكيّة في أفغانستان تقفُ على مرمى حجرٍ من (أبطال) الحرسِ الثوريّ الإيرانيّ، والأمرُ كذلك بالنّسبة للعراق، وبالتّالي فإنّ (الشّيطان الأكبر) صارَ في متناول اليد، وكان من اليسير لتلك الشّعارات العملاقة أن ترى النّورَ على أرضِ الواقع ويتمّ الانتقامُ بشكلٍ أو بآخر من العدوّ الذّي طالمَا هَجَاهُ زعماءُ الثّورة في طهران وقُمْ وأصْفَهَان، وتحدّثوا عن رذائلِه وصفاتِه القبيحة، وجعلوا منه مسمارَ جُحَا الذّي تُعَلَّقُ عليه جميعُ

الملفّات المذهبيّة والعرقيّة العالقة في البلاد، ومن هناك تجدُ طريقَها إلى النّسيان والإهمال واستمرار المعاناة والظّلم والاضطهاد..!!

لقد كان في متناول الجمهوريّة الإسلاميّة أن تفعلَ الكثيرَ لإيقافِ الحربِ الأمريكيّةِ على أفغانستان، أو المساهمة على الأقلّ في رفع فاتورة تكاليف الحرب على الطّرف الأمريكيّ العدوّ التّقليديّ للنّظام الإيراني، أمّا في العراق فحدّثْ ولا حرج، لأنّ القوّات الأمريكية، خاصّة في بغداد وما جاورها، باتت أسيرةً، منذ الشّهور الأولى لدخولها العراق، لحلفاءِ طهران لو كانت هناك نيّةٌ حقيقيّةٌ لتصفيّة الحساباتِ وتطبيقِ الشّعاراتِ التّي أَعْيَت الجماهيرَ الإيرانيّةَ وهي تردّدُها في جميع المناسبات والأعياد التّي تكاثرت بعد قيام الثّورة الإسلامية..!!

وبالرّغم مما سبقَ فليس بين أيدينا سوى التّسليم للجمهوريّة الإسلاميّة بحقّها في اللّعب كما تشاء، وبالأوراقِ التّي تراها مناسبةً ما دامت مساحاتُنا الإقليميّةُ مستباحةً للبعيدِ القادم من وراء البحارِ بأساطيله وطائراته وأسلحته وجنوده وشركاته الأمنيّة والبترولية.

من حقّها هي أن تلعبَ مع الكبار..

وعلينا أن نستيقظَ من أوهامنا وندركَ أنّ من واجبنا تأسيس مواطئ أقدامٍ ثابتةٍ تؤهّلُنا للظّفر بتأشيرةِ دخولِ ميدانِ المبارياتِ بجدارةٍ واستحقاق.

فرصةٌ عربيةٌ للأمريكيّين.. كم تَدُوم..؟

مضى شهرٌ كاملٌ على القمّة العربيّة التّي شهدتها مدينة سِرْت اللّيبية، وصار لزامًا على الحكوماتِ العربيّةِ أن تُوفِي بوعدها الذّي قطعَته على نفسِها أمام الشّعوب في نهاية تلك القمّة.. وكان الوفاءُ فعلاً لأنّه من شِيَم العرب، وتابعْنا اجتماعَ لجنةِ مبادرةِ السّلامِ العربيّةِ في القاهرة، وانتظرْنا أن تخرجَ علينا بالجديد شكلاً ومضمونا، أو التّجديد في القديم وهو أضعف الإيمان.

اجتمعَ أعضاءُ لجنةِ المبادرةِ العربيّةِ بدايةَ الشّهرِ الجاري، وانفضّ الجمعُ لكنّ ما تمخّضَ عنه لم يُحدِث المفاجأةَ التّي راودت البعضَ بعد بيان قمّة سِرْت اللّيبية، وذلك التّململ الذّي بدا حينها على بعض الزّعامات العربيّة من

استمرارِ مسلسلِ السّلامِ الوهميّ الذّي يشاركُ في صناعةِ حلقاته مفاوضٌ فلسطينيٌّ خالي الوفاض من أيّ أوراق قويّة، وطرفٌ إسرائيليٌّ جَمَعَ شتات أوراقِ الشّرقِ والغربِ بين يديه، ووسيطٌ أمريكيٌّ لا يحملُ من صفاتِ الوساطةِ إلا الاسم..!!

لقد وافقَ اجتماعُ لجنةِ مبادرةِ السّلامِ العربيّةِ على عودةِ المفاوضاتِ غير المباشرةِ بين الجانبين الفلسطينيّ والإسرائيليّ متجاهلاً بذلك جميعَ الحقائقِ التّي يفرضُها الإسرائيليون على الأرض بدءًا من استمرار عملياتِ تهويدِ مدينةِ القدس، ومرورًا بقرارِ تهجيرِ سبعين ألف فلسطينيّ من الضّفة الغربيّة، ووصولاً إلى ذلك الحصارِ الجائرِ الظّالمِ على قطاعِ غزّة وسكّانِه الأبرياء..!!

وافق العربُ إذن على إعطاءِ الضّوءِ الأخضرِ نحو مواصلةِ المفاوضاتِ وكان مبرّرهم، كما جاء على لسانِ وزيرِ الخارجيّة القطريّ، تلك المؤشّرات الجديدة على الجانبِ الأمريكيّ وموقفه الجادّ من عملية السّلام من خلال جولاتِ ومحادثاتِ المبعوثِ الأمريكيّ الخاصّ إلى الشّرق الأوسط..!!

وهكذا فإنّ العربَ يقدّمون فرصةً للوسيط الأمريكيّ، وليس لدولةِ الكيانِ الصّهيونيّ..؟؟

إنّها فرصةٌ أخرى إذن من تلك الفرصِ التّي عوَّدَنا الكَرَمُ العربيُّ الحاتميُّ على تقديمها عن طِيبِ خاطرٍ تعبيرًا عن حسنِ النّيةِ وسلامةِ الطّويّة، وتأكيدًا لتلك (الحكمة) التّي طالمَا سَمِعْنَا قياداتٍ دوليّة تصفُ بها زعماءَ عرب في ظروفٍ مشابهةٍ لما تمرُّ به القضيّةُ الفلسطينيّة هذه الأيّام..!!!

إنّ من حقّ المواطنِ العربيّ، والفلسطينيّ على وجهِ الخصوصِ، أن يتساءلَ عن السّقفِ الزّمنيّ لهذه البِدْعَة العربيّة الجديدة خاصّة مع تجاربِ الماضي المريرة..؟؟

فتقديمُ الفرصِ للجانب الإسرائيليّ استمرّ طوال العقد الماضي.. فكم يحتاجُ السّيّدُ الأمريكيُّ من الوقت.. وهو الأكبرُ حجمًا والأجلُّ منزلةً والأكثرُ حميميّة عند أغلبِ الزّعاماتِ العربيّة..؟؟؟

لقد ختمَ الرّئيسُ الأمريكيُّ الأسبق بيل كلنتون فَتْرَتَيْ رئاسته بمحادثاتِ كَامْبَ دِيفِيد بين الرّئيس الفلسطينيّ آنذاك ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيليّ إيهود باراك، وقد تابعَ العالمُ كلّه استماتةَ الرّئيس كلنتون في محاولاته للوصولِ إلى أيّ اتّفاقٍ بين الطّرفين يُنْهِي به ثماني سنواتٍ من حكم الدّيمقراطيّين للولايات المتّحدة الأمريكية..!!

وفشلت العمليةُ بعد إصرارِ الجانبِ الإسرائيليّ على التّمسّكِ بكلِّ شيءٍ مقابلَ أن يتنازلَ الفلسطينيّون عن كلّ شيء..!!!

وجاء الجمهوريون إلى الحكم بفترتَيْن رئاسيّتَيْن خيّمَ خلالهما ذلك الانحيازُ الأمريكيُّ الوَقِح للجانب الإسرائيلي، وأُفرِغَت عمليةُ السّلام من أيّ مضامين حقيقية بعد أن تحوّلت إلى مجرّدِ لقاءاتٍ ترويجيّةٍ أمام وسائل الإعلام يستفيدُ منها كلُّ طرفٍ بالكيفيّة التّي تناسبُ توازناتِه السّياسيّة الدّاخليّة ومصالحه وتحالفاته الخارجيّة.

ومرّت الأمورُ على تلك الوتيرةِ البائسة، ومع ذلك كان السّيدُ الأمريكيُّ معذورا، عند البعض، فقد جاءَه ما يشغلُه حتّى عن مشاكلِ الدّاخل، فكيف بالقضيّة الفلسطينية وغيرها..؟

لقد انغمسَ في محاربةِ ذلك العدوّ الذّي غَزَاه في عقرِ دارِه وهدَّدَ أمنَه وشعبَه، أو هذا ما روّجَ له العَمُّ سام ليبرّرَ لنفسِه الضّربَ أين ومتى وكيف يشاء..!!

انقضى عقدُ الجمهوريّين بعد انقلابِ المعادلةِ السّياسيّةِ الأمريكيّة، وصعودِ نجمِ المرشّحِ الأمريكيّ ذي الأصولِ الأفريقيّة، ومن ثمّ وصوله إلى البيت الأبيض ليكونَ أوّلَ رئيسٍ أمريكيّ أسود..

واستبشرُ العربُ خيرًا حيث كانَ الرّئيسُ الجديدُ سخيًا في تصريحاته شبه المتوازنة في البداية، ومبادراتِه ودعواتِه لفتح صفحةٍ جديدةٍ مع العرب والمسلمين، لكنّ انقضاءَ السّنةِ الأولى على ولاية الرّجلِ خيّبت الآمالَ ودعت إلى ضرورةِ إعادةِ الحساباتِ من جديد.

لقد زالت الغشاوةُ عن عيون الكثيرين وبدا أنّ باراك أوباما لن يتخلّصَ بكلمةٍ أو جرّةِ قلمٍ من قيودِ المؤسّساتِ والتّقاليدِ السّياسيّة الأمريكيّة الضّاربة في العمق.

وهكذا فإنّ ابن (حسين أوباما) لن يفعلَ شيئًا ذا أهميّة للقضيّة الفلسطينيّة في هذه الفترة لأنّ بين يديه ما يشغلُه من التّحديّات الدّاخليّة خلال فترة رئاسته الأولى..

ولو كان في أعماقِ كيانِ الرّجلِ بعضُ الإنصافِ للفلسطينيّين فلن يُظْهِرَه على الملأ إلاّ في عامِه الأخير لفترة رئاسته الثّانية إنْ ظَفِرَ بها.. لأنّه، كأيِّ رئيسٍ أمريكيّ، لا يجدُ ما يحمّسُه للدّفاع عن قضيّةٍ أهملَها أهلُها وصاروا أزهدَ خلقِ الله فيها.

إنّه دَوْرُ طَالِبَان باكستان

أسامة بن لادن المطلوب رقم واحد للأمريكيّين يعيشُ في واشنطن.. هذا بعضُ جوابِ الرّئيسِ الإيرانيّ محمود أحمدي نَجَاد عن سؤالٍ حول إن كان ابن لادن في إيران أم لا.. والمناسبةُ مقابلةٌ صحفيّةٌ مع قناةٍ تلفزيونيّةٍ أمريكيّةٍ شهيرة.. والهدفُ الذّي أراد (نَجَاد) التّصويبَ نحوه، على ما يبدو، هو الجدلُ الذّي دارَ وما زال يدورُ حول العلاقةِ المحتملةِ لما يُعرف بتنظيم القاعدة بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، أو استفادة الأخيرة من عمليّات وخطاباتِ التّنظيم على الأقلّ.

إجابةُ الرّئيسِ الإيرانيِّ على سؤال القناةِ الأمريكيّة جاءت في سياقٍ ساخرٍ ولا يمكن بأيِّ حالٍ حملَها على المعنى الحرفيّ المجرّد، وبالتّالي القول بأنّ

الرّجلَ المطلوبَ للولايات المتّحدة الأمريكيّة يتجوّلُ آمنًا مطمئنًا في أحياء واشنطن ويرتادُ أسواقَها ومساجدَها.

لكنّ التّلميحَ السّياسيَّ كان واضحًا، ومن هناك يمكنُ النّبشُ في أسرارِ المعادلةِ التّي تحكم خيوطَ الحربِ المعلنةِ بين تنظيمِ القاعدةِ والإدارةِ الأمريكيّة منذ منتصفِ العقد الأخير من القرنِ العشرين..؟؟

ومع أنّ اتهامَ أسامة بن لادن بالعمالة الصّريحة للأمريكيّين ليس أمرًا سهلاً على الإطلاق؛ فإنَّ استخدامَ الطّرف الأمريكيّ للرّجلِ وتنظيمهِ وبياناتهِ، وتوظيف كلّ ذلك سياسيًا وعسكريًا لم يَعُد خافيًا على أحد، خاصّةً أنّ المسرحَ الدّوليَّ حافلٌ بمثلِ هذه التّجاربِ سواءً ما ارتبطَ منها بالإدارة الأمريكيّة وأجهزة مخابراتها، أو بعض الدّول الغربيّة الأخرى، وحتّى الكثير من أنظمة دول العالم الثّالث.

تلميحاتُ الرّئيسِ الإيرانيّ، إذا تغاضينا عن علاقاتِ بلادِهِ المثيرةِ للجدلِ أيضا مع واشنطن، تقودُنا إلى الحديثِ عن ذلك التّطوّر الأمنيّ الذّي خيّمَ مؤخرًا على الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكية، وبالتّالي أجزاء من العالم الذّي يتأثّرُ بها سلبًا وإيجابا.

والمقصودُ هو اكتشافُ تلك السّيارة المفخّخة في ميدان تَايْمز في مدينة نيويورك، وما تلاهُ بعد ذلك من إلقاءِ السّلطاتِ الأمنيّة الأمريكيّة القبضَ على المُشْتَبه فيه وهو يهمّ بمغادرةِ البلادِ نحو مدينةِ دُبَيْ بالإمارات العربيّة المتّحدة..؟؟

ولم يكن عربيًا هذه المرّة، بل كان (فيصل شاه زاد) الأمريكيّ من أصل باكستانيّ..؟؟

موجةُ الفزعِ والاستنفارِ تكرّرت كما حدثَ بعد محاولاتٍ أو تفجيراتٍ سابقة، وهكذا انتشرت بذورُ الشّكّ، فأدّى مجرّدُ وقوفِ شاحنةٍ دون سائقٍ في أحد مساراتِ جِسْرِ بْرُوكْلِين الشّهير بنيويورك إلى إيقافِ حركةِ السّيارات، ومن ثمّ ازدياد مساحات الشّك حول استهدافِ الجسرِ الذّي يُحْرَسُ بعنايةٍ على مدارِ السّاعة، حيث يُعَدُّ مَعْلَمًا تاريخيًا قوميًا.. كما أدّى العثور على طَرْدٍ في مكانٍ عامٍّ إلى إخلاءِ المنطقةِ بعد تدخّلِ قوّات الشّرطة..!!

أصابعُ الاتّهامِ توجهت مباشرةً إلى ما صارَ يُعرفُ بطالبان باكستان، ولم تقصّر الأخيرةُ عن وَعْيٍ أو دونَه في تبنّي محاولة التّفجير ونسبتها إلى جهودها الرّامية إلى الانتقام من الولايات المتّحدة الأمريكيّة ونشاطاتِها العسكريّة في باكستان ودعمها لحكومة إسلام آباد، وطائراتها، بدون طيّار، التّي تقصفُ بشكلٍ شبه روتينيّ المناطقَ القبليّةَ الباكستانيّةَ، حيث يُشْتَبه أنّها الملاذُ الآمنُ لبعضِ عناصرِ القاعدة الذّين وجدوا الدّعمَ والمساندةَ عند طالبان باكستان وبعض الزّعامات القبليّة الموالية لهم.

والحقيقة أنّ هذه القضيّة قد تحتملُ النّقيضين تمامًا، فيمكنُ أن تكون عملاً فرديًا أو مفبركًا إلى أبعد حدودِ الفبركة، ولا يُستغربُ ذلك على أجهزة مخابراتٍ كبيرةٍ مثل الأمريكيّة وحليفاتها في الدّول الموالية لها..؟؟

كما يمكنُ أن تكون مغامرة من طالبان باكستان في محاولةٍ للضّغط على الولايات المتّحدة، وإيهامها بأنّ المعركةَ قد تنتقلُ إلى أراضيها بشكل أو بآخر،

ممّا يؤثّرُ في اتجاهات الرّأي العامّ الأمريكيّ، ويشكّلُ ضغطًا على إدارة البيت الأبيض..؟؟

والوصولُ إلى هذا المستوى من التّفكير والأفعال عند طالبان باكستان، أو غيرها، لا يحتاج إلى معجزةٍ خارقةٍ، والأمرُ لا يعدو خلطةً معروفةَ المقاييس: ضغطٌ عسكريّ ودعمٌ لحكومات مواليّة، وتعدّي على خصوصيّات تاريخيّة، وتدبيرُ اضطراباتٍ ومآسي ومعارك، والنتيجةُ ولادةُ جماعاتِ عنفٍ مسلّحٍ سهلةَ الاختراقِ والتّوجيه، وبالتّالي تنفيذُ عملياتٍ تبدو بطوليّةً لكنّها تخدمُ استراتيجياتِ الخصمِ وتضرُّ بمصالح الصّديق..؟؟

لقد ظلّ تنظيمُ القاعدة مصدرَ الخطرِ الرّئيسيّ على أمن الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيةِ داخل أراضيها وخارجها، واستمعَ العالَمُ خلال العقد الماضي إلى جميع أنواع الدّعاية والتّضخيم والتّشهير حتّى كِدْنَا أن نصدّقَ فعلاً أنّ الرّئيسَ جورج بوش يعاني الأرقَ من تهديدات أسامة بن لادن عبر رسائله السّمعيّة والبصريّة المهرّبة من كهوف الجبال الباكستانيّة أو الأفغانيّة..!!!

ومع وصولِ الرّئيسِ باراك أوباما إلى البيتِ الأبيضِ ولهجتِه الأخفِّ حدّةً بدأت أسهمُ المتشدّدين المبنيّةُ على الحروبِ في التّقهقر، وهو ما يستدعي الاستعانةَ بخبراتِ هوليوود وإخراج عمليّاتٍ جديدةٍ هنا وهناك..؟؟

ولأنّ القاعدة وابن لادن قد لا يمتلكان الآن ذلك البريقَ المطلوبَ والإثارةَ اللاّزمةَ لإكمال المَشَاهِد وإغواءِ المشاهدين؛ فإنّ البديلَ كان جاهزًا حيث جَرَى تحضيرُه وشَحْنُه على مدى السّنتين الماضيتين.. إنّه طالبان باكستان.

بين الهنود الحُمْر والمدنيّين الأفغان

عددٌ جديدٌ من المدنيّين الأفغان لقوا حتفَهم بولاية ننجرهار شرقيّ أفغانستان، والجهةُ الفاعلةُ هي القوّات الأمريكيّة، والطّريقةُ هي ذاتها التّي تكرّرت على مدارِ السّنواتِ الماضيةِ حيث المداهمات اللّيليّة للبحثِ عن عناصرِ من طالبان أو غيرهم من المسلّحين، وهناك يتجدّدُ المشهدُ المألوفُ من إطلاقٍ عشوائيٍّ للنّيران، والحجّةُ جاهزةٌ وهي الدّفاعُ عن النّفسِ بعد استهدافِ أماكن انطلق منها الرّصاص.

يغادرُ الجنودُ الأمريكيّون بعد ذلك إلى قواعدِهم سالمين في الغالب فلم يكن أمامهم عناصر مسلّحة في حقيقةِ الأمر، ولم يكن هناك رصاصٌ ولا نيران مضادّة حتّى تُوقِع بينهم قتلى وجرحى، ويتولّى القرويّون الأفغانُ شؤونَ

قتلاهم، ثمّ يتحرّكوا بهم إلى المقابرِ وسط مشاعر مفعمة بالسّخط على القوّات الأمريكية وحلفائها في أفغانستان.

وبعد الدّفنِ تتجمّعُ بعضُ القيادات الحزبيّة والزّعامات القبليّة، وتقودُ الجموعَ في مظاهراتٍ ومسيرات منددةً بالقَتَلَة ومطالِبةً بالتّحقيقِ والثّأرِ وجلاءِ القوّات الأجنبيّة، وتصفُ حكومةَ كابل بالعمالةِ للخارج أو الجبن عن مواجهة الأمريكيّين ومحاسبتهم، وتأتي كاميراتُ الإعلام وتصوّرُ الحدثَ وتنقلُ مظاهرَ الغضب، ويخرجُ رئيسُ الدّولة أو من دونه ليجاملَ الثّائرين فيندّدَ بالجريمة النّكراء ويعلنُ عن تشكيلِ لجنةِ تحقيقٍ ويتعهّدُ بأن تكون هذه الحادثةُ هي آخر أَحْزَان القرويّين على يد القوّات الأمريكيّة..!!

السّاسةُ والزّعماءُ الموالون تعوّدوا على لعبةِ الكرِّ والفرِّ، وهكذا يَقْتُلُ الأمريكيّون المدنيّينَ بحجّةٍ ودونها ويتسامحون مع جنودهم حول مساحاتِ الخطأ الواسعة، وتتركُ الحكومةُ في المقابل مساحاتٍ أخرى لمظاهراتِ تنفيسِ الغضب..!!

وفي المحصّلةِ صارت القضيّةُ برمّتها أشبه بالدّيمقراطيّات الزّائفةِ التّي تدعمُها أمريكا في كثير من دولنا، وهي أن تقولَ المعارضةُ ما تشاء لكنّ الحكومةَ تفعلُ في المقابل ما تشاء.

مثل هذه السّيناريوهات تكرّرت في أفغانستان على مدار السّنوات الماضية، وشهدت بلادُ الرّافدين ما يماثلها تمامًا بعد سقوط بغداد، وكان الاختلافُ الوحيدُ بين المشهدين هو أنّ هؤلاء عراقيّون وأولئك أفغان لا أكثر ولا أقلّ، والسّؤالُ الذّي يُطْرَحُ في مثل هذه الحوادثِ يتّجهُ إلى القّوات الأمريكيّة وتكتيكاتها القتاليّة وطبيعةِ تفكيرِ جنودها قبل قادتها..؟؟

والحقيقةُ أنّ عناصرَ القوّاتِ الأمريكيّةِ جاؤوا إلى أفغانستان والعراق للقتال، لكنّهم لم يأتوا للموت بأيّ حالٍ من الأحوال، وربّما يكون الكثيرون منهم، خاصّة في حالة العراق، قد قَبِلُوا الخدمةَ بعقودٍ خاصّةٍ لقاءَ الحصولِ على مساعداتٍ لإكمالِ الدّراسة الجامعيّة أو توفير بعض المال، وآخرون ليسوا أمريكيّين من الأساس وتجشّموا عناءَ المخاطرةِ بعد إغرائهم بالحصولِ على الجنسيّة الأمريكيّة.

إنّ الجنديَّ الأمريكيَّ مثقلٌ بالسّلاح والمعدّات من رأسه إلى أَخْمَصِ قَدَمَيْه، ومثقلٌ أيضًا بكمّياتٍ هائلةٍ من الشّكّ والخوف..!! وهكذا يسيرُ في أريافِ العراق أو أفغانستان ويَدُه على الزّنَادِ دائمًا، والأصلُ عنده أنّ الجميعَ أعداء تقريبا، وكلُّ حركةٍ فيها شُبْهَة إطلاقِ نارٍ يقابلُها باليقينِ المُطْلَقِ وهو إطلاقُ النّارِ وبشكلٍ كثيف، وبعدها يمكنُ أن يتأكّدَ إن كان في المكانِ مسلّحون أم لا..!!!

إنّ العقيدةَ القتاليّةَ التّي يتحرّكُ بها الجنودُ الأمريكيّون خطيرةٌ للغاية عندما يعتبروا الجميعَ أعداء، حتّى الجنود المحليّين.!!

والأدْهَى والأمرُّ في هذه المعادلةِ الغريبةِ أنّ الأساسَ الذّي قامت عليه الإمبراطوريّة الأمريكيّة هو تلك المغامرات التّي بدأت بها الشّركات التّجاريّة التّي شكّلت أساسّ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّة، وذلك الذّهولُ الذّي أصابَ المغامرين الأوائل وهم يكتشفون الثّرواتِ المكدّسةَ أمامهم في العالم الجديد.

تفاصيل غريبة وردت في كتاب (العملاق)، الذّي صدرَ مطلع الألفيّة الثّالثة في نيويورك وشارك في وضعه أكثر من ثلاثين كاتبًا وباحثًا حاولوا جميعا الغوصَ في أسرار وخفايا التّجربة والدّولة والقوّة الأمريكيّة الحاليّة..؟؟

من ذلك تفاصيلُ أخبارِ شركةِ "فرجينيا" التّي بدأت شقَّ الطّرق وتشييد المباني وتكوين التّجمّعات، الأمر الذّي شدَّ انتباه الهنود الحمر، سكّان أمريكا الأصليّين، إلى المخاطر المُحْدَقَة بهم، ومن ثمّ البدء في مقاومة الوضع الجديد، ليتحوّلوا إلى عَقَبَة ومشكلةٍ أمام الغزاة..؟؟

ولم يتأخّر اقتراحُ الحلّ كما جاء في تقرير لشركةِ فرجينيا كُتِب عام 1624 وكان مُوَجَّهًا إلى جمعيّة المساهمين في لندن، وفيه بالحرف الواحد كما نَقَلَ الأستاذ محمّد حسنين هيكل في كتابه (الزّمن الأمريكيّ من نيويورك إلى كابل): "إنّ الخلاصَ من الهنودِ الحُمْرِ أرخصُ بكثيرٍ من أيّةِ محاولةٍ لتمدينهم، فَهُمْ هَمَجٌ، بَرَابِرَةٌ، عُرَاةٌ، متفرّقون جماعات في مواطن مختلفة، وهذا يجعلُ تمدينهم صَعْبًا، لكنّ النّصرَ عليهم سَهْل.. وإذا كانت محاولةُ تمدينهم سَوْفَ تأخذُ وقتًا طويلاً، فإنّ إبادتهم تختصره، ووسائلنا إلى النّصر عليهم كثيرة: بالقوّة، بالمفاجأة، بالتّجويع، بحرقِ المحاصيل، بتدميرِ القواربِ والبيوت، بتمزيقِ شِبَاكِ الصّيد، وفي المرحلةِ الأخيرةِ المطاردةُ بالجِيَادِ السّريعةِ والكِلاَبِ المدرّبة"..!!!

إنّ دولةً قامت على تلك الفلسفةِ المُخَضَّبَة بدماءِ الأبرياء لن يُعْدَمَ جنودُها المبرّرات والأعذار وهم يطلقون النّارَ بكلّ برودةٍ على المدنيّين في العراق وأفغانستان.

بريطانيا.. الأقربُ إلى أفغانستان

الصّورةُ الضّبابيّةُ في عموم أفغانستان، والمهمّةُ غير الواضحة زمنيًا ومكانيًا أخرجتْ وزيرَ الدّفاعِ البريطانيّ الجديد عن حدودِ الاستراتيجيّةِ المرسومةِ فعبَّرَ عن رغبتِه في عودةِ قوّاتِه إلى بريطانيا في أقرب وقت ممكن، رغم أنّ معركةَ الرّبيع قد بدأت، وهجماتِ عناصر حركة طالبان في تصاعدٍ مستمرٍّ كمًّا وكيفًا، وحكومة الرّئيس حامد كارزي في وضع لا تُحْسَدُ عليه داخليًّا وخارجيا.

خلال الحملةِ الانتخابيّة قالَ زعيمُ حزبِ المحافظين، رئيسُ الوزراء الجديد، ديفيد كاميرون إنّه لن يحدّدَ موعدًا نهائيًا (مُصْطَنَعا) لسحب القوّات

البريطانية من أفغانستان، لكنّه يؤيّدُ الاتّجاهَ الذّي يصبُّ في بَدْءِ عودةِ تلك القوّات خلال الخمسِ سنواتٍ القادمة.

وبعد تشكيلِ الحكومةِ الائتلافيّة مؤخرًا بين حِزْبَيْ المحافظين والدّيمقراطيين الأحرار أعطت عمليّةُ ترتيبِ الأولويّات في مجالِ السّياسة الخارجيّة المرتبةَ الأُولَى للاستراتيجيّة المتعلّقةِ بأفغانستان.

ولم يتأخر تجسيدُ ذلك التّرتيب على أرضِ الواقع إذْ سرعان ما طارَ ثلاثةُ وزراء أساسيّين في حكومةِ كاميرون إلى أفغانستان، وهم وزيرُ الخارجيّة وليام هيغ والدّفاع وليام فوكس والتّنميّة الدّوليّة أندرو ميتشيل.

والهدفُ المعلنُ من الزّيارة هو إجراءُ محادثاتٍ مع وُزَرَاء في حكومة كابل، وتفقّدُ القوّاتِ البريطانيةِ، وزيارةِ مشروعٍ تنمويٍّ تُمَوّلُه لندن..؟؟

أمّا الهدفُ غيرُ المُعْلَنِ فقد يدخلُ في إطارِ المَثَلِ القائلِ: ليس الخبرُ كالمعاينة.. وهكذا فالتّقاريرُ ووسائلُ الإعلامِ لن تكفي وحدها لتكوينِ رأيٍ مطابقٍ للواقعِ دون تهوينٍ أو تهويلٍ، خاصّةً أنّ أقطابَ الحكومةِ الجديدةِ طَالَمَا انتقدوا أسلافَهم في حزبِ العمّالِ، وعَابُوا عليهم أخطاءَهم وفشلَهم في أفغانستان والعراق.

ومن نَافِلَةِ القَوْلِ إنّ الحكومةَ البريطانيةَ الجديدةَ ليس في وُسْعِهَا تغيّير الاتّجاه مائةً وثمانينَ درجةً في يومٍ وليلةٍ حتّى لو أرادت ذلك بالفعل، كما أنّ اختلافَ الرُّؤَى والتّوجُّهات في الدّولِ المتقدّمَةِ لا يصلُ إلى درجةِ النّقيضِ الكاملِ كما هو في أغلبِ بلادِ العالمِ الثّالث، والسّببُ هو تلك المؤسّسات العريقة التّي ترسمُ الاستراتيجيّاتِ وتحدّدُ السّياساتِ والمصالحَ العامّةَ للدّولة.

ما يمكنُ ملاحظته بسهولةٍ في السّياسةِ البريطانيّةِ هو التّململ من الوضعِ في أفغانستان حيث ظلَّ دائمًا في الواجهة، وعودة إلى الماضي القريب نجدُ تقريرًا برلمانيًّا بريطانيًّا، صَيْفَ العامِ الماضي، ينتقدُ المهمّةَ العسكريّةَ الدّوليّةَ في أفغانستان ويشيرُ إلى أنّها لم تحقّق النّتائجَ المرجوّة منها بسبب انعدامِ الاستراتيجيّة المبنيّة على الحقائقِ التّاريخيّة لهذا البلد..!!

التقريرُ أعدّته لجنةُ الشّؤون الخارجيّة في مجلسِ العُمُوم البريطانيّ، وكان صريحًا وواضحًا عندما خَلُصَ إلى "أنّ الجهودَ الدّوليةَ في أفغانستان منذ عام 2001 كانت أقلّ ممّا وعدت به، وتأثيرُها قد يَضْعُفُ إلى حدٍّ كبيرٍ جرّاءَ عدمِ وجودِ رؤيةٍ موحّدةٍ واستراتيجيّةٍ قائمَتَيْن على أساسِ سياسةِ وتاريخ وثقافةِ أفغانستان".

والحقيقةُ أنّ البريطانيّين هم أقربُ الغربيّين إلى فَهْمِ طبيعةِ الأفغان ومعطياتِ المنطقة بصفة عامّة، لأنّهم جرّبوا التّدخّلَ هناك، وذَاقُوا وَيْلاَت الحرب منذ أمدٍ بعيد، ودفعوا ثمنًا باهضًا في أكثر من موقعةٍ على أراضي أفغانستان.

ففي شهر جانفي عام 1842 كانت القوّاتُ البريطانيّةُ الغازيّةُ قد قرّرت الانسحابَ من العاصمة الأفغانيّة كابل صوبَ مدينة جلال آباد الأقرب إلى بلاد الهند حيث النّفوذ البريطانيّ المستحكم، وهناك تآزر الجوعُ والبردُ والمسالكُ الوعرةُ مع رجال القبائل الأفغان فَأَفْنَوا قوّات الملكة فيكتوريا بشكلٍ شبه كامل..!!

ذلك الانسحابُ جاء بعد ازدياد موجةِ العَدَاءِ للبريطانيّين في العاصمة كابل وعموم أفغانستان، ولم يكن دون تخطيطٍ مُسْبَقٍ، فقد تمَّ إبرامُ اتّفاقٍ مع ثمانيّة عشر زعيم قبيلة أفغانيّة لضمانِ سلامةِ الحاميّات البريطانيّة، ومع ذلك حلّ بالبريطانيّين ما لم يكن في حسابهم.. فسجّلوا أسوأَ نَكْسَةٍ في تاريخ حروب الإمبراطوريّة البريطانيّة التّي كانت تفتخرُ بأنّ الشّمسَ لا تَغُيبُ عنها، فمستعمراتُها وجيوشُها تنتشرُ في شرقِ الأرضِ وغربِها وشمالِها وجنوبِها..!!

تلك المذبحةُ التّي تعرّضَ لها الجيشُ البريطانيُّ رَوَاهَا النّاجي الوحيد، وهو طبيبٌ ربّما تَرَكَهُ زعماءُ القبائل ليحدّثَ قومَه بما رَأَى بِأُمِّ عيْنَيْه..!!

ومع ذلك لم يحفظ البريطانيّون الدّرسَ بما فيه الكفاية حيث تكرّرت التّجربةُ مرّات أخرى في أفغانستان، واستمرّ الصّدامُ مع رجال القبائل البشتونيّة التّي تقدّسُ الحرّيةَ والسلّاح، وكانت خاتمةُ تلك المرحلة معاهدة أنهت الصّراعَ عام 1919.

بعضُ المؤرّخين فسّروا ذلك الخطأ البريطانيّ في أفغانستان بالغرور الذّي أصابَ السّاسةَ بعد نجاحهم في بلاد الهند حيث أخضعوا حكّامَها وزعاماتِها لنفوذهم لتصيرَ من أهمّ مستعمرات التّاج البريطانيّ، وبالتّالي تصوّروا أنّ الأمرَ في بلاد الأفغان لن يختلفَ كثيرا، وما هي إلاّ بعض الجولات ويخضعُ الجميعُ ويدينوا بالولاء..!!

وعودة إلى تقريرِ لجنةِ الشّؤون الخارجيّة بمجلسِ العموم، ومع توجّهاتِ وتصريحاتِ الحكومةِ الجديدة؛ يمكنُ استشراف مستقبلِ التّحالفِ الدوليّ في أفغانستان، وحجمِ التّحديّات التّي ستتراكمُ أمَامَه من جديد.

تركيا وأكرادُها.. متى تنتهي المهزلة..؟

سيكون في حِلٍّ من أيَّ حوارٍ مع الدّولة التّركيّة في بداية شهر جوان، وسيتركُ الأمرَ بعد ذلك بين أيدي القادةِ الميدانيّين لحزبِ العمّالِ الكردستانيّ.. ومع أنّ الزّعيمَ السّجينَ لا يَرَى في هذا التّصعيد دعوةً للحرب؛ فقد أعلنَ صراحةً أنّه لا يجدُ شريكًا حقيقيًا ليواصلَ معه مشوارَ السّلامِ، وفي الوقت ذاتِه يواصلُ التّذكيرَ برؤيته لحلّ المشكلةِ الكرديّةِ في تركيا عَبْرَ فكرةِ الحكمِ الذّاتيّ.

إنّه الزّعيمُ الكرديُّ عبد الله أُوجَلاَن الذّي يقضي عقوبةَ المؤبّدِ في إِحْدَى الجزُرِ التّركيّة، لكنّه ظلَّ الرّجلَ الأوّلَ في حزبِ العمّالِ الكردستانيّ، والمرجعَ الأساسيَّ لأيِّ تحوّلاتٍ أو خطواتٍ سياسيّة حاسمة يفكّرُ الحزبُ في الإقدام عليها.

تصريحُ أُوجَلاَن نَظَرَ إليه البعضُ من زاويةِ لعبةِ الكرِّ والفرِّ التّي يتقنُها حزبُ العمّالِ سياسيًا وينفذّها ميدانيًا عبر مقاتليه، وحرب العصاباتِ التّي يخوضُها منذ عام 1984 ضدّ الجيشِ التّركيّ في جنوبِ شرقيّ تركيا.

وملخّصُ تلك اللّعبةِ هو التّصعيدُ الكلاميّ مع بداية الصّيف حيث المناخ المناسب لتحرّك المقاتلين في المناطق الجبليّة، والتّهدئةُ والكلامُ المعسولُ مع بداياتِ الشّتاءِ حين يدخلُ أولئك المقاتلون مرحلةَ البَيَاتِ الشّتويّ، ومن هناك فلا شيء في الميدانِ يشكّلُ ورقةَ ضغطٍ بين أيدي السّياسيّين أو المفاوضين..!!

ربّما كان ذلك الرّأيُ صحيحًا ولو بشكلٍ نسبيّ، لكنّ المتابعَ لمجرياتِ الأحداثِ التّركيةِ يدركُ أنّ (تهديدات) أُوجَلاَن هذه المرّة تحملُ في طيّاتِها مخاطرَ حقيقيّة، لأنّ ميدانَ السّجال التّركيّ الكرديّ قد يكون، في المستقبلِ القريبِ، خاليًا تمامًا من أيّ خيوطِ اتّصالٍ بين الطّرفين وذلك بعد إقدامِ المحكمةِ الدّستوريةِ العُلْيَا نهاية العام الماضي على حظرِ حزبِ المجتمعِ الدّيمقراطيّ (الكرديّ)، ومنعِ قياداتِه من ممارسةِ العملِ السّياسيّ، وما أعقبَ ذلك من حملاتِ اعتقالٍ ومضايقاتٍ أقدمت عليها سلطاتُ الأمن التّركيّة في حقّ النّاشطين الأكراد.

والمُلْفِتُ للنّظرِ أنّ حَظْرَ ذلك الحزب الكرديّ (المهمّ) جاءَ بعد جهودٍ كبيرةٍ قامت بها حكومةُ حزبِ العدالةِ والتّنميةِ الحاكمِ في أنقرة، وحاولت من خلالها الاقترابَ من الأكرادِ والبحثَ معهم عن حلولٍ وسطٍ للمشاكلِ العالقةِ بين الطّرفين منذ عقودٍ طويلة، وأبرزُها ما تعلّقَ بالهويّة الكرديّة حيث

يشعرُ الأكرادُ أنّهم حُرِمُوا من حقوقِهم الثّقافيةِ بما فيه الكفاية بعد أن وصلَ الأمرُ إلى درجةِ حَظْرِ اللّغةِ الكرديّة بين أبنائها من خلال ذلك القانون السّخيف الذّي صَدَرَ عام 1982..!!

الأَشْهُرُ التّي تفصلُ بين حَظْرِ حزب المجتمع الدّيمقراطيّ وتصريحات أُوجَلاَن الأخيرة تخلّلتها مناوشاتٌ وعملياتٌ متبادلةٌ بين الجيش التّركيّ ومقاتلي حزب العمال الكردستانيّ.. تطوّرات تؤشّرُ إلى إمكانيةِ الاستمرارِ والتّصعيدِ خلال فصل الصّيف الذّي يَعْرِفُ عادةً أَوْجَ نشاطاتِ المقاتلين في المناطق الجبليّة الكرديّة.

وذلك التّصعيدُ المتوقّعُ قد يتحوّلُ إلى واقعٍ مرٍّ تعيشُه المناطقُ الكرديّةُ من جديد خاصّةً إذا وضعنَا في الاعتبار حرصَ العناصرِ المتشدّدةِ في الجانبين على رفعِ مَنْسُوب العنف والعنف المضادّ، وزيادة الأصوات الصّاخبة في محيط القضيّة الكرديّة ليتمّ التّشويشُ على دعاةِ الحكمةِ والعقلِ والتّقاربِ والتّفاهمِ والتّعايشِ السّلميّ..؟؟

لقد ظلّت القضيةُ الكرديّةُ في تركيا أشبه بـ (مِسْمَار جُحَا) خلال العقود الماضية، وكانت، ولا زالت، المبرّرَ الأوّلَ لوجود أحزابٍ وشخصياتٍ قوميّةٍ متشدّدةٍ تقتاتُ على الشّوفينيّة وتتنفّسُ باضطهاد الآخرين واختلاقِ مشاكل لهم، ودَفْعِهِم بالتّالي إلى المظاهراتِ والعنفِ، وما يشكّلُه كلُّ ذلك من فُرَصٍ جديدةٍ لمزيدٍ من القراراتِ والإجراءاتِ التّعسّفيّة..!!

إنّ بعضَ النُّخَبِ هناك ما زالت تصرُّ على أفكارِها القوميّةِ المتشدّدة، وتسعى إلى إحياء الرّابطة الطّورانيّة التّي تربطُ أتراك آسيا الوسطى بأتراك

الأناضول، ومن ثمّ السّعي نحو إقامةِ (عالَم تركيّ) عظيم في مساحتهِ وتعدادِ سكّانه، وحجم تأثيره في مجريات الأحداث الإقليميّة والدّوليّة..

وهو أمرٌ قد يكون له ما يبرّرهُ، لكنّه يتحوّلُ إلى مهزلةٍ عندما يُصِرُّ أولئك القوميّون على سحقِ قوميّةٍ قائمةٍ بذاتها تعيشُ معهم على الأرض وتتقاسمُ معهم الماضي والحاضر والمستقبل..!!

إنّ تركيا، حزب العدالة والتّنمية، تحاولُ جاهدةً القيامَ بدورٍ مغايرٍ في المنطقة عبر استراتيجيّات وتحالفات ومواقف جديدة تقتربُ بها أكثر من محيطها العربيّ والإسلاميّ، وتجعلُ منها ندًّا للغربِ والولاياتِ المتّحدة الأمريكية، والطّريقُ إلى ذلك، أو بعضُه على الأقلّ، هو الخروجُ من دوّامةِ المشكلةِ الكرديّة عبر الوصولِ إلى دولةِ المُوَاطَنَةِ الكاملةِ التّي تحفظُ للأكرادِ حقوقَهم المشروعة، وتضعُ نهايةً لمأساتِهم المتواصِلة..

لكنّ جميعَ ذلك لا يخدُمُ أجندةَ جهاتٍ ولوبيّاتٍ تركيّة، وهكذا راحت تبذلُ قصارى جهودِها لمَنْعِ السّفينةِ التّركيّة من الانطلاق إلى عرض البحر.

استراتيجيّة أُوبَامَا.. بدايةُ النّهاية

أسامة بن لادن المطلوبُ الأوّل أمريكيًّا على ظَهْرِ إحدى سفنِ أسطول الحريّة الذّي كان متّجهًا إلى غزّة.. هذا فقط ما لم يَقُلْهُ المتحدّثُ باسم الخارجيّة الإسرائيليّة بعد ساعاتٍ من ذلك الهجومِ الدّاميّ على سفينة مَرْمَرَة التّركية، وما تَلاَهُ من إخضاعِ باقي السّفنِ ومَنْ عليها من متضامنين وسَوْقِهِم بالقوّةِ نحو ميناء أَسْدُود.

لقد ظلّت المعلوماتُ التّي تسرّبُها الجهاتُ الإسرائيليةُ شحيحةً بعد الهجوم، وتضاربت الأنباءُ، وكان لا بدّ لوزارة الخارجيّة الإسرائيليّة أن تقولَ شيئًا للعالَم، وتبرّرَ هجومَ القّواتِ الخاصّةِ على رجالٍ ونساءٍ عُزّل لا يملكون إلاّ

قلوبَهم المؤمنة بعدالة قضيّة غزّة، وضرورة فكّ الحصارِ عنها ليعيشَ أطفالُها مثل أقرانهم في جميع أنحاء العالَم.

كانت الجريمةُ شنيعةً بكلّ المقاييس ووكالاتُ الأنباءِ تتناقلُ أرقامًا بالعشرات بين قتلى وجرحى، وتتحدّثُ الصّورُ عن أساليب غير حضاريّة تَصَرّفَ بها الجيشُ الإسرائيليُّ مع ركّابِ تلك السّفن..!!

وكان الغضبُ التّركيُّ قد وصلَ إلى مرحلةِ الغليان شعبيًّا ورسميا...

وهكذا كانت الحكومةُ الإسرائيليّةُ في حاجةٍ إلى الضّربِ على أَوْتارٍ حسّاسةٍ جدًّا إقليميًّا ودوليًّا، أو هكذا تصوّرت الأمر..؟؟

ومن هناك راحَ المتحدّثُ باسم الخارجيّة يكذبُ بشكلٍ غير عاديّ، وإن كان الكذبُ هو دَيْدَنُ القومِ منذ ظهورِ كيانِهم إلى الوجود.. بل إنّ ذلك الكيان الغريب ذاته تأسّسَ انطلاقًا من أكاذيب تاريخيّة ودعاوى باطلة لا تثبتُ أمام أيّ تحقيقٍ علميٍّ نزيهٍ، ولو قام به يهوديٌّ حقٌّ أبًا عن جدّ..!!

قال المتحدّثُ الإسرائيليُّ إنّ هؤلاء المتضامنين على علاقةٍ بتنظيمِ القاعدةِ وحركةِ حماس، وراحَ يخلطُ بين أمرين بعيدين عن بعضهما كلّ البعد، فما كانت حماسُ تشبهُ القاعدةَ يومًا ما، والعكسُ كذلك.

وبَالَغَ المتحدّثُ أكثر في أكاذيبه عندما قال إنّ المتضامنين هم الذّين بادروا إلى العدوان على الجنود، ودافعَ هؤلاء عن أنفسهم فقط..!!!

أيْ أنّهم ضحايا ولا ذنب لهم فيما حدث، وهي عادةٌ إسرائيليّةٌ خبيثةٌ في الالتفاف على الحقائق وقلبها رأسًا على عقب..!!

ولم يكتف المتحدّثُ الإسرائيليّ فراح يعقدُ مقارنةً غير منطقيّة تمامًا حين تساءلَ عن عدم اهتمامِ هؤلاءِ المتضامنين بالجنديّ الإسرائيليّ الأسيرِ في قطاع غزّة، مع أنّ العالمَ كلَّه يعلمُ أنّ ذلك الجنديّ أُسِرَ وهو يقاتل، أمّا حصارُ غزّة فهو عقابٌ جماعيٌّ لشعبٍ بريءٍ لا ذنبَ له إلاّ أنّه شاركَ في انتخابات حرّة ونزيهة أفرزت صناديقُها رجالاتٍ لا يروقون لإسرائيل ولا تروقُ لهم..!!

ومع أنّ حَبْلَ الكذب قصير دائما، فقد كان في حالة القرصنةِ الإسرائيليّة الأخيرةِ أقصرُ بكثير، فلم يمضِ يومٌ واحدٌ إلاّ وبدأَ الجيشُ الإسرائيليُّ بإطلاقِ سراحِ المتضامنين ليَرْوُوا ما حدثَ ويفنّدُوا تلك الرّواية البالية، وليتّضحَ زيفُ الدّعاوى الإسرائيليّة وتهمة الإرهاب ضدّ المتضامنين.. فلا يُعْقَل أن يكون هناك إرهابيّون على علاقةٍ بالقاعدةِ ويتمُّ إطلاقُ سراحهم بهذه السّهولة، ثمّ يصلوا إلى بلدانهم أيضا وتستقبلُهم حكوماتُهم هناك..!!

إنّ تلك التّصريحات والاتّهامات كانت مفيدةً وذاتَ فعاليّة سريعة جدًّا قبل سنوات عندما كانت حربُ جورج بوش على ما يُسَمّى الإرهاب في عنفوان شبابها، وكانت شبهةُ التّعاطف مع الإرهاب كافية لتحريك الشّرق والغرب، فضلاً عن واشنطن والعواصم الحليفة لها.. يتحرّكون ولو كان الإرهابُ المقصودُ مقاومةً شريفةً ترفعُ الغبنَ وتدافعُ عن الحقوق..!!

لقد بدأت تلك النّغمةُ النّشاز في الاختفاءِ تدريجيًّا من المسرح السّياسيّ والإعلاميّ الدّوليّ، وظهرَ ذلك جليًّا مع رحيلِ جورج بوش ووصولِ الرّئيس الأمريكيّ الجديد باراك أوباما إلى البيت الأبيض.

لقد ارتفعت أصواتٌ كثيرةٌ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحذّرت من الخسائرِ التّي تجنيها أمريكا من وراء تلك السّياسة والحرب العمياء الموجّهة إلى أعداءٍ وهميّين في أغلب الأحيان.

وظهر الأمرُ بشكلٍ أكثر جلاءً في الأيّام الماضية عندما أعلنَ أوباما عن استراتيجيّة الولايات المتّحدة للأمن القوميّ، والجديدُ فيها أنّ تلك المصطلحات التّي راجت في فَتْرَتَيْ حكم بوش قد اختفت تماما، بل إنّ تلك الاستراتيجيّة أعلنت تخلّيها عن عبارةِ الحرب على الإرهاب.

ومع أنّ إعلانَ الاستراتيجيّة يُعدّ أمرًا روتينيا بشكلٍ ما لأنّه مطلوبٌ قانونيًّا من كلّ إدارة جديدة؛ إلاّ أنّه يحملُ بعضَ التّغييرات الجوهريّة ومنها التّخلّي عن الحروب الاستباقيّة التّي برعت فيها الإدارةُ الأمريكيّة السّابقة، ومنها أيضا الاعترافُ بوجودِ أقطابٍ أخرى كبيرة في العالَم وذلك من خلال تأكيد الاستراتيجيّة على التّحالفات المبنيّة على المصالح، ما يعني مستقبلاً تخلّي الولايات المتّحدة بعض الشّيء عن فكرة قيادةِ العالَم والمسؤولية الكاملة عنه، كما أظهرَها جورج بوش من خلال خطاباته وسياساته.

قد يكونُ النّفقُ ما زال طويلاً بعض الشّيء، لكنّ مؤشّراتِ نهايتِه قد بدأت، وهي فرصةٌ ذهبيةٌ للحكومات العربيّة.

فرصةٌ للتّفكير وبناء استراتيجيّة جديدة تراعي آلام وآمال الأمّة، وتطلّقُ الخوفَ من دولة الكيان الصّهيونيّ، وتتحرّكُ بعد ذلك نحو دعمِ خيارِ المقاومةِ والصّمود.

السّودان على مفترقِ الطّرق

كتابةُ ومتابعةُ السّيناريو ثمّ إخراجُ المشهدِ بالكاملِ لم يَعُدْ تصرّفًا غريبًا في عالَمِ السّياسةِ الدّوليّة خاصّةً خلال العَقْدَيْن الأخيرَيْن حينَ حاولت الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ السّيطرةَ على مجرياتِ ومفاصلِ الأحداثِ العالميّةِ وتوجيهها لخدمةِ مصالحها بالدّرجة الأولى، ثمّ مصالحِ الدّولِ الحليفةِ الدّائرةِ في فَلَكِها.

السّيناريو وعملياتُ الإخراج الأمريكيّة تتّجهُ هذه الأيّام نحو دولةٍ عربيةٍ إفريقيةٍ مهمّة وهي السّودان، وما تزخرُ به من تنوّعٍ عرقيٍّ ولغويٍّ وحدودٍ طويلة، وغير ذلك من المؤهّلات التّي تجعلُ منها، وبامتياز، بوابةَ العربِ نحو

القارّة السّمراء التّي تشكّلُ، خاصّةً بدولها الإسلاميّة، العمقَ الاستراتيجيَّ للعالَم العربيّ.

وبينما تتحدّثُ أكثرُ وسائلِ الإعلامِ العربيّةِ بحماسٍ منقطعِ النّظيرِ عن فعاليّاتِ أوّلِ دورةٍ لكأسِ العالَمِ في كرةِ القدمِ تحتضنُها دولةٌ أفريقيّة هي جنوبِ أفريقيا، تمضي الإدارةُ الأمريكيّةُ قُدمًا في خُطَطِهَا لدولة السّودان، وتتفنّنُ في نسجِ خيوطِ المؤامرةِ العلنيّةِ التّي بدأت منذ ثمانينيّات القرن الماضي، واستهدفت دائمًا وَحْدَةَ أراضي السّودان وتقطيعَ أوصاله لمَنْعِه من القيامِ بأيّ أدوارٍ رئيسيةٍ فاعلةٍ في محيطه العربيّ أو الإفريقيّ.

الخِدَعُ البصريّةُ والذّهنيّةُ في عملياتِ الإخراجِ السّياسيّ لمصير جنوبِ السّودان بدأت بتلك المظاهرات والمسيرات التّي خرجت في مدينة (جُوبَا) عاصمةِ الجنوب ومعقلِ الحركة الشّعبيّة لتّحرير السّودان.

نعم.. خرجت الجماهيرُ وبشكلٍ قد يصفُه البعضُ بالعفويّ، أو هو حَرَاك طبيعيّ من حقّ منظّماتِ المجتمعِ المدنيّ أو البرلمانيّين الذّين يمثّلون الشّعبَ أو هكذا ينبغي لهم أن يكونوا.. خرجُوا وطالبُوا حكومةَ جُوبَا بضرورةِ إجراءِ الاستفتاءِ حول مصيرِ الجنوبِ في موعدِه مطلع العامِ القادم، وأكثر من ذلك السّعي نحو الوصولِ إلى نتيجةٍ تضمنُ الانفصالَ التّام عن الشّمال.

إنّها مظاهراتٌ بريئةٌ وتهدفُ فقط إلى التّعبير عن رأي الشّارع السّودانيّ الجنوبيّ..

كلامٌ يمكن قبوله، ولو على مَضَض، لو لم يتزامن مع لقاءِ نائبِ الرّئيسِ الأمريكيّ جوزيف بايدن وسيلفا كير مياريديت نائبِ الرّئيسِ السّودانيّ ورئيس حكومة الجنوب..؟؟

وهكذا ارتفعت البراءةُ وغابت الطّهارةُ عن تلك المظاهرات لأنّهَا خرجت أساسًا لترفعَ بعضَ الحرجِ عن نائبِ الرّئيس الأمريكيّ، إن كان يحسُّ به فعلاً، وهو يدعمُ بشكلٍ شبهِ صريحٍ تقسيمَ السّودان وتأسيسَ دولة الجنوب المستقلّة..!!

لقد كان ذلك الاجتماعُ المشبوهُ قبل أيّام على أرضِ دولةٍ إفريقيّةٍ جارة للسّودان، وهي كينيا، وبالتّحديد في عاصمتها نَيْرُوبِي، وقد تعهّدَ نائبُ الرّئيسِ الأمريكيّ بتهيئةِ دولِ الجوارِ السّودانيّ لخطوةِ الانفصالِ إذا تمّت، وراحَ يستعملُ ألفاظًا دبلوماسيةً منتقاةً حتّى لا يُغْضِبَ ساسةَ الخرطوم الذّين دعمتهم واشنطن بلا تحفّظ قُبَيْل وخلال الانتخابات الماضيّة ضمانًا للسّير الحسن لاتفاقية نِيفَاشَا التّي اشترطت انتخاباتٍ عامّة قبل استفتاءِ أهلِ الجنوبِ حول مصيرهم واختيارهم بين الوحدة أو الانفصال.

لقد وجّه نائبُ الرّئيس الأمريكيّ رسالةً واضحةً لساسةِ وشعبِ الجنوبِ وإن كانت مغلّفةً باحترامِ الدّيمقراطيةِ والاتّفاقياتِ المُبْرَمَة بين حكومةِ الخرطوم والحركةِ الشّعبيةِ لتحرير السّودان.

لقد أغرى القومَ بالمضيّ قُدُمًا في ترجيحِ كفّةِ الانفصالِ عندما أكّدَ أنّ إدارته ستدعمُ الجنوبيّين في حال اختاروا الانفصال.. وسيكونُ ذلك الاختيارُ ديمقراطيًا وشفّافًا حينها، حتّى لو تكشّفَ للكثيرين أنّه مُثْقَلٌ بجميع أنواع الشّوائب..؟؟

إنّ سياسةَ الإغراء ليست غريبةً على حكوماتِ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكية، وسبقَ للأمريكيّين أن استخدموها وحقّقوا بها مصالحَ كبيرة، فالجميعُ يذكرُ غزوَ العراق للكويت قبل عشرين عامًا، لكنّ القِلَّةَ هي التّي تُلِمُّ

بخفايا وكواليسِ ما حدثَ، ومن بين ذلك إغراءُ صدّام حسين باجتياحِ الكويت عندما لمّحت سفيرةُ واشنطن في العراق للرّئيس صدّام بأنّ بلادَها لن تتدخّلَ إذا أقدمَ بشكلٍ ما على تصفية مشاكله العالقة مع حكومة الكويت..؟؟

وهكذا ابتلعَ الرّجلُ الطّعمَ ودخلت قواتُّه الكويت، فتحركت واشنطن وجنّدت ما استطاعت من الجيوشِ والحلفاءِ وأبواق السّياسة والإعلام باسم حماية شرعيّة بلدٍ عضوٍ في الأمم المتّحدة، وتحقّقت مصالحُها بعد ذلك عندما أرست قواعدَ عسكريةً دائمةً في منطقة الخليج العربيّ.

كلّ ما نتمنّاه أن يكون ساسةُ الخرطوم على وعيٍ كاملٍ بما يحدثُ في مفترق الطّرق هذا، وأنّ قبولَهم للدّعم الأمريكيّ وتجاوبَهم معه في المرحلة الماضية لم يكن سوى تكتيكًا لتنطلقَ بعد ذلك الخططُ والمشاريعُ والسّياساتُ لاحتواء الموقف والعمل بكلّ الوسائل لترجيح كفّة الوحدة وإقناع الجنوبيّين بالتّصويت للسّودان.. ويتزامنُ ذلك مع الشّروعِ الفوريّ والعمليّ في خطواتِ إرساءِ دولةِ المواطنةِ الكاملةِ والعدالةِ والقانون والتّوزيع العادلِ للثّروات.

وكلُّ ما نتمنّاه أيضا أن تعي الدّولُ العربيّةُ ما يحدثُ للسّودان خاصّةً أنّ عددًا منها مرشّحٌ للمصيرِ ذاتِه لتوفّرها على أقليّاتٍ دينيّةٍ أو عرقيّةٍ أو مذهبيّة.

وإذا غضَّ العربُ أبصارَهم عن استهدافِ السّودان اليومَ، فإنّ الغدَ قد لا يحملُ ما يَسُرّ، وعندها لن ينفعنا أن نقول: أُكِلْنَا يوم أُكِلَ الثّورُ الأبيض.

مرحبا بالانقسام الفلسطينيّ..!!

يبدو أنّ الدّماءَ التّركيةً التّي سالت على مَتْنِ سفينةِ مَرْمَرَة كانت حارّةً إلى درجةٍ كبيرةٍ حيث أفسدت بالكاملِ حساباتِ إدارةِ صناعةِ القرارِ في دولةِ الكيانِ الصّهيونيّ المُوغلة في الخطأ من الأساس.. ظهرَ هذا الأمرُ جليًا لأنّ عمليّات القَرْصَنَة، والقَتْلِ والتّخويفِ والاعتقالِ ثمّ السّجن والتّسفير، لم تُدْخِلْ ذرّةَ يَأْسٍ واحدة إلى قلوبِ المتضامنين في جميع أنحاء العالم، وهكذا راحوا يعلنون عن قوافل وأساطيل جديدة لكسرِ الحصارِ عن قطاعِ غزّة.

الدّماءُ التّركيّة، وغيرُها، ظلّت حارّةً بعد ذلك لتساهمَ في تحريكِ ودفعِ المشاعرِ والجهودِ الشّعبيةِ في العالميْن العربيّ والإسلاميّ، وكثير من الدّول التي

تزخرُ بالأحرارِ والقلوبِ الحيّةِ النّابضةِ بالتّضامنِ مع المظلومين والمضطهدين، والواعيةِ لأهميّةِ فضحِ جرائمِ ومؤامراتِ وصفقاتِ الدّول الكبرى وحلفائِها في المنطقةِ العربيّة.

الدّماءُ التّركيّةُ التّي سالت على يد القّواتِ الخاصّةِ الإسرائيليّة حرّكت المصريينَ الرّسميينَ وأيقظتهم من سُبَاتِهِم العميق، فَهَرْوَلُوا نحو أبواب مَعْبَر رَفَح ليخفّفُوا الحصارَ ويسمحوا بمرورِ قوافلِ الإغاثةِ وعبور الفلسطينيّين من الجهتين.

فعلوا ذلك وقالوا إنّ المعبرَ سيظلُّ مفتوحًا إلى إشعارٍ آخر، وربّما كان في الأمرِ مداراةً لشعبهم وشعوب المنطقة، أو غِيرَةً من رَجَب طيّب أردوغان والحكومة التّركية، أو تخفيفًا للحرجِ عن دولة الكيان الصهيونيّ والولايات المتّحدة الأمريكيّة..؟؟

لا يهمّ ذلك كثيرا، بقدرِ ما يهمُّنا أنّ المياهَ الرّاكدةَ قد تحرّكت بعد أن سالت فيها الدّماءُ التّركيّةُ الحارّة.

الأمرُ تطوّرَ إلى أكثر من ذلك عندما دعت الأممُ المتّحدةُ بكلماتٍ واضحةٍ، وفي أكثر من مناسبة، إلى إنهاء الحصارِ عن قطاع غزّة، وفعلت ذلك دولٌ ومنظماتٌ كبرى بينها الاتّحاد الأوروبيّ..

وحتّى دولة الاحتلال التّي لا ترى في قطاع غزةّ سوى قلعة تهدّد وجودَها بالكامل؛ بادرت إلى حيلةِ التّخفيفِ من الحصار، وفتح المعابرِ لبعضِ الوقتِ تجنّبًا للضّغوط الدّوليّة وانحناءً للعاصفةِ الهوجاءِ التّي أثارتها الدّماءُ التّركيّة..!!

الجميعُ رَكِبَ موجةَ فكّ الحصارِ حتّى لا يفوتُه الموسمُ دون بعضِ الغنائم، وكثيرون فعلوا ذلك مُكْرَهِين غير راضين، لأنّ خروجَ غزّة إلى الحريّة من

جديدٍ لم يَعُدْ سوى مسألةِ وقتٍ بعد أن امتزجَ الدّمُ التّركيُّ الحارُّ بمياه البحر المتوّسط، وأثارَ بالتّالي جميعَ الأحرار في العالَم، وأعطى إشارةَ الانطلاق لعشراتِ الأساطيلِ والقوافلِ وعليها رجالٌ ونساءٌ من شتّى الألوان والأديان والأعراق والمشارب السّياسية.. يختلفون في الكثيرِ لكنّهم يتّفقون على ضرورةِ إنهاءِ ذلك العقابِ الجماعيّ الذّي تمارسُه إسرائيل منذ سنوات على مليون ونصف مليون إنسان فلسطينيّ، فقط لأنّهم اختاروا من يريدون في انتخابات حرّة ونزيهة..!!!

السّلطةُ الفلسطينّيةُ التّي لا تخفي عداوتَها للحكومةِ القائمةِ في قطاع غزّة سارعت هي أيضًا إلى رُكُوبِ الموجةِ بعد أن أدركت أنّ الموقفَ لا يحتملُ الانتظار، وأنّ الجزءَ المتبقّيَ من القبولِ والشّعبيةِ قد تذروه رياحُ الغضب، وتذهبُ به تلك العواطفُ المتأجّجةُ المتعاطفةُ مع قيادات وشعب غزّة ورَجَب طيّب أردوغان ورفاقِه في أَنْقَرة.

ولأنّ المِسْنَدَ الذّي تتّكئُ عليه السّلطةُ الفلسطينيّة هو حكومةُ مصر العربيّة؛ فقد بادرت إلى الاستنجادِ بها ومحاولةِ نَفْخِ الرّوحِ في وثيقةِ المصالحةِ المصريّةِ وجمعِ الفصائلِ من جديد، والظّهورِ بمظهرِ الحريصِ على الوَحْدَة الوطنيّة ومصلحةِ الشّعبِ الفلسطينيّ، مع أنّ الأخبارَ قد فضحت النّوايا بعد أن تواترَ الحديثُ عن جهودِ سلطة رام الله ومحمود عبّاس في تضيّيق الخِنَاقِ على قطاعِ غزّة أملاً في الوصولِ إلى تلك النّتيجةِ التي يَتُوقُون إليها بحرقةٍ وهي سقوطُ حكومةِ حَمَاس من الدّاخلِ بعد أن يَضِيقَ الشّعبُ بها ذَرْعًا، ويَسْحَلَ رموزَها في الشّوارع، أو يُلْزِمَهم العودةَ إلى بيوتِهم في أحسنِ الأحوال..!!

إنّ إصرارَ السّلطةِ الفلسطينيّةِ على المصالحةِ أمرٌ محمودٌ في ظاهِره، فلا أحدَ يرفضُ الوَحْدَةَ بين غزّة ورام الله، ولا أحدَ يرغبُ في بقاء الشّعب الفلسطينيّ مُشَرْذَمًا، ولا أحدَ يُرضيه أن تظلَّ الفصائلُ الفلسطينيّةُ دون تنسيقٍ وعملٍ مشترك.. لكنّ القضيةَ الفلسطينيةَ تمرُّ بمنعطفٍ حاسمٍ، بعد أن ظهرَ في الأفقِ خياران فقط... هما:

مشروعُ المقاومةِ المُدَافِع عن الكرامةِ والحقوقِ والمنادي بالصّمود والتّحدّي..

والمشروعُ المقابلُ المُمْسِكُ بذيلِ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ والرّاعي لمصالحها في المنطقة.

بين أيدينا مشروعٌ واضحٌ في دِفَاعِه عن الحُقُوقِ والثّوابت، وصلبٌ في سخريّته من جميع أشكالِ الوَعْدِ والوَعِيدِ الأمريكيّ والإسرائيليّ، ومشروعٌ آخر اختارَ الدّورانَ في فَلَكِ العمّ سام والتّسويقَ لأفكاره وحلوله المقترحة للنّزاع، وحتّى رؤيته لمستقبلِ المنطقةِ برمّتها والعالَم أجمع.

إنّ المصالحةَ مطلوبةٌ بإلحاحٍ شَرْطَ أن تكونَ على أسسِ الكرامةِ والحفاظِ على الثّوابتِ..

وأيُّ مصالحةٍ تهدفُ فقط لكسبِ الوقتِ والتّقليلِ من خسائرِ إسرائيل وأمريكا، فلا مرحبًا بها، لأنّها مجرّدُ جولةٍ من جولاتِ التّسويفِ والتّأجيلِ والتّخدير..

فمرحبًا بالانقسامِ الفلسطينيّ إذا ظلَّ بوابةً لإذكاءِ روحِ المقاومةِ والممانعةِ واستعادةِ الحقوق.

أُوبَامَا والامتحانُ الأوّل

قامت دُنْيَا الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ ولم تَكَدْ تَقْعُدُ وهي تتابعُ تداعياتِ تصريحاتِ أحدِ قادتِها العسكريّين الميدانيّين.. تصريحاتٌ سَخِر فِيهَا من كِبَارِ المسؤولين في الإدارة الأمريكيّة، بينهم جُوزِيف بَايْدِن، نائب الرّئيس الأمريكيّ، وكَارْل آيْكنْبْري، سفير واشنطن في كَابُل، وريتشارد هولبروك المبعوث الأمريكيّ الخاصّ لكلّ من أفغانستان وباكستان، بالإضافةِ إلى جيمْس جُونز، مستشار الأمن القوميّ، الذّي وصفَه أحدُ مساعدي القائد بأَنّه مهرّجٌ لا زالَ عالقًا في عام 1985.

ذلك القائدُ الميدانيُّ هو الجنرال ستانلي ماكريستال قائد القوّاتِ الأمريكيّةِ وقواتِ حلفِ شمالِ الأطلسيّ، النّاتو، في أفغانستان الذّي استلمَ منصبَه

الحسّاس قبل ثلاثة عشر شهرا فقط ليَسْهرَ على تنفيذِ استراتيجيّةِ الرّئيس باراك أُوبَامَا الجديدة، ويواصلَ الحربَ التّي أرهقت الجنرالات السّابقين على مدى السّنوات الماضيّة.

إدارةُ البّيت الأبيض اهتزّت للحادثةِ ورَأَتْ فيها انتقاصًا لمَقَامِها ودورِها في تسيير دفّةِ الأحداثِ والقضايا المهمّة، لأنّها إدارةُ رئيسٍ منتخبٍ يحقُّ له أن يتصرّفَ وِفْقَ البرامجِ والخططِ التّي انتخبَه الشّعبُ على أَسَاسِها.

وسارعَ الرّئيسُ أوباما إلى استدعاء الجنرال ستانلي ماكريستال إلى واشنطن، ومن هناك اجتمعَ به منفردًا لمدّةِ نصفِ ساعة، وكان السّيناريو المتّفقُ عليه هو القبول باستقالة الجنرال التّي أُوعِزَ إليه بتقديمها تجنّبًا لإحراجه، وهو تقليدٌ جرَتْ عليه العادةُ في المستوياتِ العليا للحكوماتِ والشّركات.

الرّئيس أُوبَامَا أعلنَ مباشرةً عن تعيينِ خَلَفٍ للمسؤول المُغَادِر وهو الجنرال ديفيد بتريوس قائد القيادة الأمريكيّة الوسطى والقائد السّابق للقوّات الأمريكيّة في العراق، وتعهّدَ الرّئيسُ بأن (يَفْعَلَ كلَّ ما هو ضروريّ بصفته قائدًا عامّا للقوّات المسلّحة، وما تُمْلِيه عليه واجباتُه تجاهَ الجنود الأمريكيّين وتجاهَ المؤسّسات التّي اُنْتُخِب لقيادتها).

ما حدثَ رَأَى فيه البعضُ دليلاً إضافيًّا على تزايد قوّة حركة طالبان ممّا أوصلَ إلى هذا التّدافع الداخليّ في أوساط الإدارة الأمريكيّة مدنيّها وعسكريّها، خاصّة أنّ الجنرال المُقال أو المُسْتَقِيل جاءَ في الأساسِ ليكون المنفّذَ الأمينَ للاستراتيجيّةِ الجديدةِ في الحربِ على طالبان والقاعدة، وتهيئة

الأوضاع للانسحاب الأمريكيّ بعد أن صارَ التّورّطُ الكاملُ في المستنقعِ الأفغانيّ مسألة وقت فقط.

ويمكنُ الحديثُ أيضًا في هذا المضمارِ عن محاولاتِ السّاعاتِ الأخيرةِ مع تعيين الجنرال بتريوس بدل ماكريستال..؟؟

ذلك أنّ القادمَ الجديدَ صاحب خبرةٍ في إدارةِ الحربِ في العراق، وله تجربةٌ في إنشاء (الصّحوات) التّي ساهمت في تحجيمِ تنظيمِ القاعدةِ هناك، ومن ثمّ يمكن أن ترمي واشنطن بكلّ ثَقلَها في الفترةِ القادمةِ، وتشرعُ في إنشاءِ مليشيّاتٍ على شكلِ صَحَوَاتِ العراقِ لتعزلَ بها حركةَ طالبان وتُضَيّقَ الخناقَ عليها.

وأثناء هذا اللّغط الذّي شهدتُه واشنطن هناك من عادَ مدّةَ عشرين سنة كاملة إلى الوراء، وراحَ يستأنسُ بالمشهدِ الرّوسيّ في أفغانستان وسنواته الأخيرةِ والتّخبّطِ الذّي وقعت فيه القيادةُ السّوفيتيّة آنذاك، ومن هناك بدأَ المقارنةَ بين التّجربتين الرّوسيّة والأمريكيّة في أفغانستان ليصلَ إلى أنّ التّشابهَ حادثٌ لا مَحَالَة، لأنّ الوضعَ الأفغانيَّ العامّ والمزاجَ الشّعبيَّ وخارطةَ التّدخّلات الإقليميّة لم تتغيّر كثيرا رغم التّباينِ بين طبيعةِ وثقافةِ وأهدافِ كلٍّ من الاتّحاد السّوفيتيّ السّابق والولايات المتّحدة الأمريكيّة، ورغم الدّورِ النَّشِطِ الذّي لِعَبَتْه واشنطن إبّانَ التّدخّل الرّوسيّ، والدّور المتواضع الذّي تَلْعَبُه موسكو اليوم إزاء التّدخل الأمريكيّ.

صحيفةُ واشنطن بوست رأت في انتقاداتِ الجنرال ماكريستال دلالةً على استمرارِ الانشقاقاتِ التّي ظهرت خلال التّقييم الذّي أَجْرَتْهُ إدارةُ أوباما

لاستراتيجيّة الحربِ في أفغانستان العام الماضي، وأنّ التّوتّرَ متواصلٌ بين عددٍ من الشّخصيّاتِ المعنيّة بهذا الأمر.

ومع أنّها قلّلت من شَأْنِ ما حدثَ باعتباره ليس بالأمرِ الجديدِ على هذا المستوى في الإدارة الأمريكيّة؛ فقد عَزَت الصّحيفةُ السّببَ وراء تضخيم تعليقاتِ الجنرال إلى تواصل الفشلِ في الأداءِ الحربيّ الأمريكيّ في أفغانستان ممّا أشاعَ فكرةَ أنّ الحربَ لا تسيرُ بالشّكل الحسن، لتضيفَ أنّ تلك التّعليقات السّاخرة عزّزت مخاوفَ أنصارِ استراتيجيّةِ أُوبَامَا من أنّ احتفاظَه بفريقه الحالي دون تغيّير قد يُصَعّبُ من الحملةِ العسكريّةِ التّي تُعَانِي أصلاً من التّعقيد.

كلامٌ كثيرٌ قد يُقال، لكنّ المثيرَ في ما جرَى أنّ أُوبَامَا ظهرَ وكأنّه يجتازُ الامتحانَ الأوّلَ ليؤكّدَ على حقّه في ملء كرسيّه بالكاملِ، ربّما لأنّه أولُ رئيسٍ أسودٍ، وأكثر من ذلك لاستمرارِ الضّغوطِ والمشاكلِ في الدّورانِ حولَه، وحتّى الشّبهات والشّائعات التّي يغذّيها أصلُ أبيه الإفريقيّ المسلم، وحياته لسنوات مع أمّه وزوجِها في أندونيسيا..؟؟

وهكذا أصرّ أُوبَامَا على عدمِ القبولِ بغير تنحيةِ الرّجلِ واستبداله بقائدٍ آخر ليبرهنَ على أنّ قَامَتَه تماثلُ قاماتِ سابقيه من الرّؤساء الأمريكيّين البِيض..!!

وربّما كانت القضيّةُ من النّاحيةِ الشّكليّةِ شبه عاديّة في بلادِ الغربِ الدّيمقراطيّ، لكنّها جديرةٌ بالملاحظةِ في بلادِ العالَمِ الثّالث لاستخلاص العبَر منها، والبحثِ عن وضعٍ أفضلٍ تصبحُ الكلمةُ الأُولَى فيه لمن يُفْرِزُه الصّندوق.

إنجاز فلسطينيّ في البيت الأبيض..؟؟

يبدو أنّ الاختلافَ في التّشخيصِ والتّقييمِ بين الإدارةِ الأمريكيّةِ وحلفائِها في السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّة قد بلغَ درجةً كبيرةً من التّباين، وهكذا صارَ المشهدُ أقرب إلى رسمٍ كاريكاتوريٍّ ساخرٍ يُظْهِرُ أحدَ الطّرفين وهو يُوَجّهُ مِنْظَارَه إلى الشّرقِ بينما يوجّهه الآخرُ نحو الغربِ وفي الاتّجاهِ المعاكسِ تماما.

ذلك المشهدُ السّاخرُ ظهرَ مؤخرًا عندما قال البيتُ الأبيض، وتحديدًا عبر أحد مستشاري الرّئيس بَارَاك أُوبَامَا، إنّ المحادثاتِ غير المباشرةِ بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين قد أسفرت عن تقاربٍ بين الطّرفين، بينما استغربت السّلطةُ الفلسطينيّةُ ذلك الرّأيَ عبر أكثرِ من مسؤول، وذهبت أبعدَ

من ذلك عندما طلبت إيضاحات من الإدارة الأمريكيّة حول حقيقة ذلك التّصريح، خاصّةً أنَّ أيَّ نجاحٍ يُذكَر ينبغي أن يتجسّدَ على الأرضِ، وتبدأ ثمارُه في واقع المواطنِ الفلسطينيّ، وأقلُّها تخفيفُ الحواجزِ والحصارِ ووقفُ الاعتقالاتِ والملاحقات.

التّقييمُ الأمريكيُّ (الإيجابيّ) للمحادثاتِ غير المباشرةِ جاء بعد سلسلةِ جولاتٍ قامَ بها المبعوثُ الأمريكيُّ للشّرق الأوسط جورج ميتشل، وكان يَظْهَرُ خلال كلِّ جولةٍ أمامَ عدساتِ المصوّرين مرّة مع رئيسِ الوزراء الإسرائيليّ بِنْيَامِين نَتَنْيَاهُو في القدس الغربيّة، وبعدها مع محمود عبّاس رئيس السّلطة الفلسطينيّة في مدينة رام الله، ويردّدُ الرّجلُ في العادةِ كلماتٍ منتقاة بعنايةٍ تستهدفُ الإبقاءَ على شعاعِ أملٍ في حِيَادِ الإدارةِ الأمريكيّة، وفي الوقتِ ذاته رسالةَ طمأنينةٍ لإسرائيل مفادُها أنّ مصالحَها ومخطّطاتِها وأهدافَها الاستراتيجيّة ستحوزُ، كالعادة، على الأولويّةِ المطلقةِ في سياساتِ واشنطن وجولاتٍ وتحرّكاتِ رجالاتِها في المنطقة..!!

تصريحُ البيتِ الأبيضِ المثيرُ للجَدَلِ جاء قبل أيّامٍ من موعدِ اجتماعِ نَتَنْيَاهو مع أُوبَامَا في واشنطن، وقد يحملُ مؤشرًا على أنّ اللّقاءَ سيسودُه قدرٌ معقولٌ من الدّفء والأريحيّة بين الطّرفين، فيحصلُ الإسرائيليّون على وعودٍ بدعمٍ إضافيّ، وضغوطٍ أخرى على الفلسطينيّين لدفعهم نحو المفاوضات وجهًا لوجه..

نعم.. هاهو التّقدمُ قد حصلَ في المفاوضاتِ غير المباشرةِ، ولِمَا لا ينتقلُ الطّرفان إلى المفاوضاتِ المباشرةِ لتعودَ مشاهدُ المصافحاتِ وتبادلِ

الابتساماتِ من جديد بين الوفدين الفلسطينيّ والإسرائيليّ على شاكلةِ ما كنّا نراه أيّام مفاوضاتِ محمود عبّاس ورئيس وزراء الدّولة العِبْريّة السّابق ايهود أولمرت..!!

السّلطةُ الوطنيّة الفلسطينيّة في موقف صعبٍ للغاية لأنّ أوراقَ اللّعبةِ المتاحةِ لديها محدودةٌ وأضعفُ من أن تُرْغِمَ الخصمَ على أيّ تنازلٍ ولو كان تافهًا حقيرا..؟؟

وهكذا استغلت حكومةُ نتنياهو الفرصةَ كاملةً وراحت تنفّذُ مخطّطَاتِها الراميةَ إلى تَهْوِيدِ مدينةِ القدس عبر برامج التّهجير المتسارعة ضّدّ المواطنين المقدسيّين، وتنشيطِ مشاريع الاستيطان والْتِهام المزيد من الأراضي التّي يُفترضُ أنّها محلّ تفاوضٍ بين الجانبين إلى حين الوصولِ إلى ما يُسمّى الحلّ النّهائي..!!

السّلطاتُ الإسرائيليّةُ أصدرت قرارًا يقضي بإبعادِ أربعة نوّاب فلسطينيّين ينتمون لحركة حماس، وهي خطوةٌ لها ما بعدها، لأنّ النّجاحَ في طردِ النّوابِ المنتخبين وسكوت العالَم عن ذلك سيفتحُ البابَ واسعًا أمام عملياتِ طردٍ منظّمة لإفراغِ المدينة المقدّسة من سكّانها العرب..؟؟

يحدثُ ذلك بينما تركّزُ وسائلُ الإعلامُ الغربيّة، والأمريكيّة خاصّةً، على زياراتِ ولقاءاتِ جورج ميتشل وكأنّ المفاوضات غير المباشرة تسيرُ في الاتّجاه المؤدّي إلى حلّ عادل..!!

التّصريحُ أو التّقييم الأمريكيّ رَأَى فيه البعضُ مجرّدَ بالون اختبارٍ لمعرفةِ ردودِ الفعلِ الفلسطينيّة والعربيّة، لكنّ سخريةَ الواقع تقولُ إنّ النّظرةَ

الأمريكيةَ صادقةٌ لأنّ المشاريعَ الصّهيونيةَ تسيرُ دون توقّفٍ بينما يستقبلُ القادةُ الفلسطينيّون جورج ميتشل في رام الله ويتبادلون معه الأحاديثَ أمام وسائل الإعلام، ويقولون إنّهم تلقّوا منه كذا وكذا من الآراءِ والمقترحاتِ ودسّوا في جيبه مطالبَ ورغباتٍ يريدون من الإدارة الأمريكيّة أن تحقّقها لهم عبر الضّغطِ على الجانبِ الإسرائيليّ..؟؟

إذن تسيرُ المفاوضاتُ بهذهِ الوتيرةِ بينما يُغَيِّرُ الإسرائيليّون الحقائقَ على الأرضِ ليَضَعُوا الجانبَ الفلسطينيَّ أمام الأمرِ الواقعِ في أيّ مفاوضاتٍ قادمة، ومن ثمّ دفعُه إلى القبول بحلولٍ أقلّ بكثيرٍ جدا من السّقفِ الذّي وضعته اتفاقيةُ أُوسْلُو مع أنّها غايةٌ في الإجحافِ والتّفريطِ في حقِّ الشّعبِ الفلسطينيّ ومقدّساتِه وتاريخِه ونضالِه ضدّ دولة الكيان الصّهيونيّ.

إنّ حزب اللّيكود وحكومة نتنياهو يلعبان على المكشوفِ في الغالبِ فاحتاجت الإدارةُ الأمريكيّة إلى رحلاتٍ مكوكيةٍ وتغطياتٍ إعلاميّة وتصريحاتِ وبياناتٍ تخفّفُ من وَطْأَةِ ما يحدثُ في مدينة القدس، وظهرَ كلُّ ذلك في تحرّكاتِ المبعوثِ الأمريكيّ جورج ميتشل..

وهكذا فإنّ حديثَ البيتِ الأبيضِ عن تقدّمِ المفاوضاتِ غير المباشرةِ صادقٌ ضِمْنَ السّياقِ الذّي تُدِيرُ به الإدارةُ الأمريكيّة قواعدَ اللّعبةِ في الشّرق الأوسط..؟؟

فالاستراتيجيّةُ المعلنةُ هي تفوّق وأمن إسرائيل.. ولا بأس أن يَنَالَ الآخرون بعضَ فتاتِ المساعداتِ والمجاملاتِ والاستقبالاتِ واللّقاءات الباسمة..!!!

تركيا بين القِبْلَتَيْن

لم يجد الرّئيسُ الأمريكيّ بَارَاك أُوبَامَا حرجًا في ارتداء مُسُوح الحُكَمَاء، لينطلقَ من هناك ويلقّنَ حلفاءَه الأوروبيّين بعضَ الحِكْمَةِ عندما أكّد أنّ (من الحِكْمَة) أن يقبلَ الاتّحادُ الأوروبيّ تركيا في عضويّته.. و(الحِكْمَةُ) من وراء ذلك القبول هي دفعُ الأتراك نحو أحضان أوروبا، والعكسُ طبعًا هو ما سيحدثُ عندما يستمرُّ الرّفضُ حيث لا بديلَ لأحفادِ العثمانيّين عن تحالفاتٍ وامتداداتٍ خارج الدّائرة الغربيّة.

ولأنّ الرّئيسَ الأمريكيَّ يدركُ أنّ تركيا صارت دولةً ديمقراطيةً بكلّ معنى الكلمة؛ فقد ركّزَ على نظرةِ الشّعبِ التّركيّ لهذا الأمر لأنّهم (إذا لم يشعروا

بأنّهم جزءٌ من العائلةِ الأوروبيّةِ فمن الطبيعيّ أن ينتهي بهم المطافُ إلى البحثِ عن تحالفاتٍ أو انتماءاتٍ في أماكن أخرى).

الرّأسُ الأوّلُ في البيتِ الأبيضِ راحَ يثرثرُ في ذلك الاتّجاه بعد أن (بلغَ السّيلُ الزُّبَى)، وكاد صبرُ الرّجلِ وأركانِ إدارته على النّفاد، وفي المقابلِ لم يكن في يده شيءٌ يفعلُه، فهو أمامَ حكومةٍ منتخبةٍ بشكلٍ ديمقراطيّ لا غبار عليه، وأكثرُ من ذلك ظلّت تتمتّعُ بشعبيّةٍ كبيرةٍ في الشّارعِ التّركيّ بسبب إصلاحاتِها السّياسية ونجاحاتِها الاقتصاديّة التّي جعلت من الدّولةِ التّركية في التّرتيبِ السّادسِ ضمن أكبر الاقتصاديّاتِ الأوروبيّة، بل إنّها لم تكابد الصّعابَ التّي عانت منها دولٌ أوروبيةٌ كثيرةٌ وظلّت وتيرة النّمو متصاعدة فيها.

لم يجد الرّئيسُ الأمريكيُّ حيلةً للحدّ من النّفوذ المتزايد لدولة تركيا الدّيمقراطية وحكومتها الحيويّة التّي تتحركُ شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، والأخطرُ هو اقترابُها الشّجاع من القضيّة الفلسطينيّة وتبديلها لبعضِ موازين القوّةِ في المنطقة، وما أعقب ذلك من خوضها لمعارك سياسيّة ودبلوماسيّة مع إسرائيل بعد حادثةِ أسطولِ الحرّية..

والنّتيجةُ هي ذلك البرودُ الشّديدُ في العلاقاتِ بين الجانبين، ونُذُرُ القطيعةِ الكاملةِ التّي تنتظرُ مجرّدَ تصرّفٍ استفزازيّ آخر من السّاسةِ الإسرائيليين.

لقد أحرجت الدّيمقراطيةُ التّركيّةُ الولايات المتّحدة في أكثر من موقف، وحرَمت الطّائراتِ الأمريكيةَ عام ألفين وثلاثة من استعمال الأراضي التّركيّة لضرب العراق، وقد تمّ ذلك بشكلٍ ديمقراطيّ كامل، وبتصويتٍ من أعضاء البرلمان، وهو أمرٌ لم تتجرّأ الولاياتُ المتّحدةُ على مجرّد انتقادِه، فضلاً عن

رفضِه أو الاعتراضِ عليه والضّغطِ على الحكومةِ لتجاوزه، لأنّها تدركُ أنّها أمامَ حكومةٍ شعبيةٍ شكلاً ومضمونا.

إنّ المشهدَ التّركيَّ الحاليَّ باتَ عصيًّا على أيّ محاولاتِ تدخّلٍ وخلطٍ للأوراق يمكن أن تُقدمَ عليها الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ وحلفاؤها، كما اعتادت على ذلك مع دُوَلٍ أخرى ذات ديمقراطيّات هُلاَميّة..!!

ولأنّ الأتراكَ شرعوا في تغيّير قِبْلَتِهم نحو الشّرق من جديد، بادرت واشنطن إلى دقّ النّاقوسِ لتحذيرِ أصدقائها الأوروبيّين، وتنبيههم إلى حجمِ الخطرِ الذّي يحدّقُ بهم إذا استمرت وتيرةُ الزّيارات والتّحالفات على ما هي عليه الآن بين تركيا وإيران وعدد من الدّول العربيّة..؟؟

لقد أدمنت تركيا، الرّسمية على الأقلّ، خلال عقودٍ ماضية التّوجهَ نحو القِبْلَة الأوروبيّة، وحاولت مرارًا وتكرارًا الحصولَ على تأشيرةِ دخولٍ دائمةٍ إلى ذلك الفضاء، وخاضت مفاوضاتٍ شاقّةً لأَجْلِ الانضمامِ إلى الاتّحاد الأوروبيّ عام 2005..

لكنّها اصطدمت بعددٍ من الشّروطِ التّي يراها الطّرفُ الآخرُ عادلةً ومنطقيةً لكنّه يتترّسُ بها خوفًا من ذلك العدد السّكانيّ الكبير الذّي يدين بالإسلام، وما سيحدثُه من تغيّرات في أوروبا على المدى المتوسّط فضلا عن البعيد..؟؟

الرّئيسُ الأمريكيُّ أكّدَ على أهميّة إقامةِ علاقاتٍ قويّةٍ مع تركيا لدورها الاستراتيجيّ بين الشّرق والغرب، وكونها عضوًا في حلفِ شمالِ الأطلسيّ

النّاتو، وكونها أيضًا دولة ذات أغلبيّة مسلمة، الأمرُ الذّي يجعلُها (نموذجا له أهميّة كبيرة للدّول المسلمة الأخرى بالمنطقة).

أمنيّاتٌ قد تبدو مقنعةً في نظر الذّين يفكّرون بمنطقِ الرّئيس أُوبَامَا، لكنّ إقناعَ ذلك العدد الكبير من الدّول الأوروبيّة بقبولِ تركيا في فضائِها أمرٌ قد يبدو مستحيلاً في الوقت الحالي على الأقلّ، وهو ما يرجّحُ استمرارَ تركيا في نهجها الاستقلاليّ وبحثها الدّائم عن تحالفاتٍ جديدةٍ في محيطها القريب وامتداداتها التّاريخيّة، والنّتيجةُ المنظورةُ هي ذلك التّغييرُ شبه الكامل في اتّجاه القِبْلَة التّركيّة، والنّتيجةُ الموالية هي مزيدٌ من القلقِ لإسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة.

المفارقةُ أنّ بعض أصحاب القِبْلَة التّي تقصدُها تركيا لا يستسيغون تحرّكاتِ ومغامراتِ أنقرة، ويجاهرون بأنّ القومَ يبحثون عن مصالحهم فقط في تلك المناورة بين الشّرق والغرب..!!

والمفارقةُ الأخرى أنّ هؤلاء المشكّكين يسمحون لأمريكا بإدارةِ لعبةِ مصالحها في بلادهم كَمَا ومَتَى وبِمَا تشاء..!!

إنّ على العربِ، شعوبًا وحكومات، أن يبادروا إلى مساعدةِ تركيا على لَعِبِ دورٍ مهمّ في محيطها الطّبيعيّ، وليعلم أولئك الذّين يعزفون على وترِ القوميّةِ والخلافاتِ التّاريخية أنّ الزّمن تغيّرَ ولن يعودَ إلى الوراء، كما أنّ تركيا اليوم ليست بتلك الصّورة التّي رسخت في أذهانِ العربِ بسبب بعض أتراك عصر الضّعف العثمانيّ، والخلافات والحساسيّات التّي نشبت بينهم وبين العرب.

السّودان.. الحرب والسلام

كلّ استطلاعات الرّأي تؤكّدُ أنّ الجنوبَ سيختارُ الانفصالَ خلال الاستفتاء الذّي يُفترضُ أن يُجْرَى مطلع العام القادم.. كلامٌ صَدَرَ عن باقان أموم الأمين العام للحركة الشّعبيّة لتحرير السّودان ليصبَّ مزيدًا من الزّيتِ على نارِ الحربِ الباردةِ التّي تجري في الكواليسِ بين شَرِيكَيْ الحكمِ في السّودان منذ أن بَدَأَ العدُّ التّنازليُّ لموعدِ استفتاءِ تقريرِ المصيرِ لأهالي الجنوب.

تصريحاتُ هذا القياديّ في الحركةِ الشّعبيةِ وغيره، والمسيراتُ والفعالياتُ التّي تتكرّرُ مشاهدُها في جُوبَا عاصمة الجنوب ويطالبُ منظّموها بالانفصال عن الشمال، تؤكّدُ من جديد، وبشكلٍ مباشرٍ، رغبةَ قياداتِ الحركةِ الشّعبيّةِ

في التّصعيدِ والإصرارِ على الانفصالِ بغضّ النّظرِ عن نتائجِ الاستفتاءِ المرتقب، وفي الأمرِ تذكيرٌ للجميع بتلك المؤامرات الخارجيّة التّي ظلّت تستهدفُ السّودانَ منذ عقودٍ متواليّة، وإن كان الدّاخلُ السّودانيُّ الهشُّ، والحكوماتُ المتعاقبةُ في الخرطوم، بين عسكريّة ومدنيّة، قد هيّأت المناخَ المناسبَ للتدخّلِ الأجنبيّ عبر كثيرٍ من المسمّياتِ واللاّفتاتِ والشّعارات.

قياداتُ الحركةِ الشّعبيةِ ظلّت تستبقُ الأحداثَ دائما وتهيّئُ الرّأيَ العامّ الدّاخليَّ والخارجيَّ لخيارِ الانفصال، وكأنّه الوحيدُ الذّي لا بديلَ عنه على الإطلاق، وكأنّ الجنوبيّينَ على قلبِ رجلٍ واحدٍ في مَنَاكَفَةِ الشّماليّينَ وتحقيقِ القطيعةِ الكاملةِ معهم..؟؟

لقد سلكت القياداتُ الجنوبيّةُ ذلكَ الطّريقَ مع أنّ القضايا الجوهريّة التّي ينبغي الاتّفاقُ عليها بين الطّرفيْن (المؤتمر الوطنيّ الحاكم في الخرطوم والحركة الشّعبية لتحرير السّودان) ما زالت تراوحُ مكانَها قبل أشهرٍ معدودةٍ من موعدِ الاستفتاء، والحسمُ فيها ربّما يستغرقُ جلساتٍ طويلةً جدًّا وأخرى أَطْوَل وأَطْوَل، خاصّة أنّ الطّبيعةَ السّودانيّةَ اشتهرت بالتّناغمِ مع سياسةِ النّفَسِ الطّويلِ واستهلاكِ أوقاتٍ كثيرةٍ في المجاملاتِ والابتساماتِ والسّفْسَطَاتِ السّياسيّةِ على حسابِ جداول الأعمالِ والبرامجِ المُسَطَّرَةِ والتّواريخَ المقرّرة..!!

القضايا العالقةُ عديدةٌ ومن أبْرَزِهَا مسألةُ الحدود وتعريفُ المواطنة واقتسامُ النّفط ومياهُ النّيل.. والوصولُ فيها إلى حلولٍ مناسبةٍ ليس بالأمرِ السّهلِ على المدى المنظور خاصّةً إذا أخذنَا بِعَيْنِ الاعتبارِ مفاوضات وإشكاليّات سابقة، ومنها قضيّة منطقة أَبْيِي الغنيّة بالنّفط، والتّي صدرَ فيها حكمٌ من محكمة لاَهَاي

الدّولية ولم يُجَسَّد واقعيًا إلى الآن، فهي تمثّلُ إحدى العثرات الرّئيسيّة في طريق الاستفتاء، وأكثرُ من ذلك سوف تشهدُ بمفردها عمليّةَ استفتاءٍ خاصّ ليقرّرَ أهلُها الانضمامَ إلى الشّمال أو الجنوب..؟؟

وفوق تلك القضايا العالقة تشهدُ المفوضيّة التّي سَتُشْرِفُ على استفتاء الجنوب عددًا من المشاكل، فمن الأساس تأخّرَ تشكيلُها لمدّة عامين كاملين ولم ترى النّورَ إلا قبل شهرين فقط، وعليها رغم هذا التّأخير أن تباشرَ عمليّاتِ التّسجيل في مناطقِ الجنوب وتنشرَ القوائمَ قبل ثلاثة أشهر من موعد الاستفتاء.

المفوّضيّةُ التّي تتكوّنُ من تسعةِ أعضاءٍ لم تَحْسِمْ قضاياها التّنظيميّة بعد، ومنها اختيارُ الأمين العام الذّي يصرُّ الجنوبيّونَ أن يكون منهم ويتردّدُ الشّماليونَ في قبول ذلك، كما أنّها لا تملكُ مكتبًا خاصًا وموعدُ الاستفتاء يقترب يومًا بعد يوم.!!

وإضافة إلى كلّ ما سبقَ ستعاني المفوضيّةُ من وعورةِ الطّبيعةِ وصعوبةِ الوصولِ إلى المناطق النّائية في الجنوب لِنُدْرَة الطّرق، وانقطاعِ الكثيرِ من القليل الموجود منها بسببِ الأمطارِ الغزيرةِ والسّيول.

إنّ المعطياتِ البادية للعيان على أرضِ السّودان، بجنوبه وشماله، تشيرُ إلى أنّ الأوضاعَ تسيرُ نحو شيءٍ من الانسدادِ خاصّةً أنّ الشّمال قد كشفَ عن مَيْلِه نحو تأجيلِ موعدِ الاستفتاء لأسبابٍ يَرَى أنّها موضوعيّة، بينما يرى الجنوبُ أنّ الموعدَ مقدسٌ ولا ينبغي تأخيره بأيّ حال من الأحوال، ربّما لأنّ الوقتَ ليس في صالحِ قياداتِ الحركةِ الشّعبيّة... أولئك الذّين يفضّلون

اللّعبَ بالأوراقِ الحاليّةِ والمناخِ الدّوليّ الذّي يضمنُ لهم استفتاءً على مقاسِ أحلامهم السّياسيّة..؟؟

وعلى أرضِ الواقعِ تبدو المشاكلُ والعقباتُ حقيقيّة، بغضّ النّظر عن الطّرف الذّي تسبّبَ فيها أو خطّطَ لها على مَهْلٍ حتّى وصلت إلى هذا الحدّ.

أوضاعٌ معقّدةٌ قد تقودُ إلى حربٍ حقيقيّة، وتكونُ هذه المرّة بين جيشِ الشّمال ونظيره الجنوبيّ؛ فخمسُ سنواتٍ كانت كافيةً ليُعِيدَ الجنوبيّون ترتيبَ أنفسهم وتسليحَ قوّاتِهم.

وإذا بدأت الحربُ بأيّ شكلٍ من الأشكالِ فستكونُ فرصةُ التّدخّلِ مُنَاسِبَةً لقوى دوليّة عديدة على رأسها الولايات المتّحدة، خاصّة أنّ تهمةَ ظلمِ الجنوبيّين واضطهادهم جاهزةٌ منذ عقود..!!

وعندها قد تشهدُ ساحةُ المعركةِ وصولَ ما يُعرف بالقاعدة والجهاديّين من كلّ مكان، وتبدأُ في المنطقةِ طبخةٌ جديدةٌ على غِرَارِ ما وَقَعَ في أفغانستان والعراق، وتتسلّى واشنطن بإدارةِ أزمةٍ جديدةٍ توجّهها لمصالحها كما جرت العادةُ في مناطقِ صراعٍ أخرى.

إنّ عقلاءَ السّودان على موعدٍ مع التّاريخ لأنّهم بين خِيَارَيْ الحرب والسّلام، والحكمةُ تدعوهم إلى تحجيم جميع الخلافات وتأجيل الحساسيّات، والاتّفاق على كلمةٍ سواء تُفْضِي إلى وَحْدةٍ على قواعد راسخة، أو انفصالٍ أبيضٍ يحفظُ دماءَ السّودانيّين ويقطعُ آمال المتآمرين.

نحو واشنطن.. ما الجديد..؟؟

وأخيرا اكتملَ المشهدُ ببيانِ اللّجنةِ الرّباعيّة الدّوليّةِ للسّلام في الشّرق الأوسط، الذّي دَعَا السّلطةَ الوطنيّةَ الفلسطينيةَ وإسرائيل إلى العودةِ للمفاوضاتِ المباشرة.. وبعد ذلك البيان نَتَالَت البياناتُ والتّصريحاتُ حيث وافقت منظّمةُ التّحرير الفلسطينيّة على دعوةِ الرّباعيّة، ووافقت تل أبيب أيضًا، ثمّ جاءت بياناتُ وتعليقاتُ الدّولِ الغربيّةِ وما فيها من ترحيبٍ وتشجيعٍ، وحتّى التّفكير في مؤتمرٍ للمانحين لإعمارِ الدّولةِ الفلسطينيّة المنتظرة، كما جاء في بيانِ الرّئيسِ الفرنسي نيكولا ساركوزي.

تاريخُ هذه المفاوضات المباشرة هو الثّاني من شهر سبتمبر الذّي باتَ على الأبواب، ومكانُها هو واشنطن، والرّاعي أمريكيٌّ (متحمّسٌ) بطبيعةِ الحال،

وجدولُ المباحثاتِ مشحونٌ بخلافاتٍ مزمنةٍ وملفّاتٍ شائكةٍ وقضايا ثقيلةٍ للغاية، وهناك أحاديث عن حضورِ الرّئيس الأمريكيّ بَارَاكَ أُوبَامَا بعض أشغالِ المفاوضات، ممّا يعيدُ إلى الأذهانِ مشاهدَ محادثاتِ كامب ديفيد التّي أَدَارَهَا الرّئيسُ الأمريكيّ الأسبق بِيل كلنتون بشكلٍ مباشرٍ أواخر فترته الرّئاسية الثّانية.

لا جديد على سبيلِ الضّماناتِ الأمريكيةِ والغربيّة للجانبِ الفلسطينيّ الذّي تمَّ إقناعُه، على ما يبدو، بالتّخفيفِ من شروطِه المسبقةِ والتّخلّي عن تلك التّصريحات التّي سَخّنَت السّاحةَ الإعلاميةَ خلال الأسابيع الماضيَة، خاصّةً أنّ حكومةَ إسرائيل دخلت المفاوضاتِ دون شروطٍ من النّاحيّة النّظريّة، وإن اشترطت لنفسِها من النّاحيّة العمليّة عندما صرَّح نتانياهو أنّ الوصولَ إلى الحلّ النهائيّ في محادثاتِ واشنطن يتطلّبُ اعترافًا فلسطينيًا بيهوديّة الدّولةِ الإسرائيليّة، وضمان الاستحقاقات الأمنيّة المطلوبة..!!

ربّما يكونُ الجديدُ في هذه المفاوضات هو بعض الشّهود العرب على انطلاقِ المفاوضات، وذلك بدعوةِ دَوْلَتَيْ الجوارِ اللّتين تقيمان علاقاتٍ دبلوماسيةٍ مع إسرائيل وهما الأردن ومصر، وسيكونُ التّمثيلُ على أعلى المستويات بحضورِ الرّئيس حسني مبارك والملك عبد الله الثّاني، والجديدُ أو الطّريفُ أنّ الأمرَ مُحيِّرٌ حيث يصعبُ التّخمينُ إن كان هؤلاء الشّهودُ سيشكّلون دعمًا للطّرفِ الفلسطينيّ، أم مزيدًا من الضّغطِ عليه لتقديمِ تنازلاتٍ على صعيدِ القضايا المصيريّة..؟؟

لا جديد على مستوى أوراقِ القوّةِ في يد الوفدِ الفلسطينيّ المُفَاوِضِ سوى ذلك الأمل، أو الوَهْم، في حياديّة الإدارة الأمريكيّة وضغطها على

الإسرائيليّين للتّنازلِ عن خطوطهم الحمراء الكثيرة، ومن ثمّ المرونة في بعضِ مواقِفِهم المتشدّدة ليتسنّى التّقدمُ بخطواتٍ إلى الأمام..!!

لكن.. وعبر رؤيةٍ مغايرة قد يلحظُ المتابعُ لمجريات الأحداثِ الإقليميةِ والدّوليةِ نقاطَ قوّةٍ لدى الطّرف الفلسطينيّ، وما يُؤسفُ له أنّها ليست من صُنْعِ يده ولا من بنات أفكاره، ولا حتّى ممّا هو في مخطّطاته وبرامجه العلنيّة والسّريّة..؟؟

إنّها نقاطُ قوّة ستكون في صالح الفلسطينيّين إذا أحسنوا استغلالَها جيدا، وهي واضحةٌ تمامًا لدى الرّاعي الأمريكيّ والغريم الإسرائيليّ، وسينظران إليها حتمًا باهتمامٍ وحذرٍ شديد..؟؟

من بين تلك النّقاط استمرارُ صمودِ قطاع غزّة المُحَاصَر وبإدارةِ حركةِ حماس التّي ترفضُ جميعَ أشكالِ المفاوضاتِ والاتفاقيّاتِ وما تمخّضَ عنها سابقًا وما يمكنُ أن تؤولَ إليه لاحقًا.

وهو صمودٌ باتَ مقلقًا للإدارة الأمريكيّة لأنّ هذا (الكيان المُشَاكِس) الذّي صمدَ كلّ هذه السّنوات وسط حصارٍ خانقٍ من الأشقّاء والأعداء على حدٍّ سواء، كفيلٌ بأن يدفعَ شعوبَ المنطقة، وحتّى بعضَ حكوماتِها، إلى إعادةِ التّفكيرِ في أساليبِ وآلياتِ إدارةِ الصّراعِ وترتيبِ موازين القوّةِ وخرائطِ التّحالفاتِ والتّحركاتِ السّياسيّة من جديد.

ومن بين النّقاط أيضًا ذلك التّغييرُ الذّي حدثَ على خارطةِ ثوابتِ السّياسةِ الإقليميّةِ بعد الدّورِ التّركيّ في المناداة، ومن ثمّ التّحرك، برفعِ الحصارِ عن قطاعِ غزّة والدّخولِ في مُشَاحَنَاتٍ ومُلاَسَنَاتٍ مع إسرائيل هي الأشدّ في تاريخ العلاقات بين أنقرة وتل أبيب، الأمرُ الذّي يؤشّرُ إلى أنّ علاقاتِ

البلدين لن تعودَ إلى أيّامِ السمّنِ والعسلِ، خاصّةً أنّ علاقاتِ تركيا بجيرانها العرب والإيرانيّين قد تسارعت وتيرتُها الإيجابيّة بشكلٍ كبير، وأسْكَتَتْ حتّى تلك النّخبةَ التّركيةَ المتعاطفةَ مع إسرائيل بعد النّتائج الاقتصاديّة الباهرة لهذه العلاقات الجديدة.

التّقدّمُ الذّي حَقَّقَتُه إيران مؤخّرًا في مفاعل بُوشَهْر النّوويّ ورقةٌ قويّةٌ في يدِ المفاوضِ الفلسطينيّ، وإن لم يَعترف أصلاً بالدّور الإقليميّ الإيرانيّ في الصّراع، لأنّه أدمنَ النّظر إليه من زاوية دَعْمِ الخصم وهو حركة حماس, وبقيّة فصائل المقاومة التّي ترفضُ التّسويةَ السّلميةَ أساسًا للحلّ وتصرُّ على الممانعة والسّلاح.

نقاطُ القوّةِ الجديدة هذه قد تجعلُ المفاوضات مفتوحةً على بعض المفاجآت، فالرّغبةُ الأمريكيةُ في دعمِ من تسمّيهم المعتدلين واضحةٌ، ولا بدّ لهؤلاء، سلطة فلسطينيّة وحكومات عربيّة، أن يعودوا بشيء من واشنطن..؟؟

وهكذا ستجتهد إدارةُ البيتِ الأبيضِ في إكرامِ هؤلاء والحرصِ على تجنيبهم خيبةَ العودة بخُفَّيْ حُنَيْن كما يقول المثل العربيّ..

لأنّ العودةَ بالخُفَّ وحدَه ستزيدُ من حالةِ الهوانِ والصَّغَارِ أمام الشّعوبِ المُتَمَلْمِلَة والنّخب السّياسيّة المعارِضة.

الفهرس

الموضوع	الصّفحة
إهداء	04
مقدّمة	05
أين السّيادة يا سادة..؟	11
رِفقًا بالعقول..	15
اليمن السّعيد.. إلى أين..؟	19
أمريكا والأفغان.. الوَهْم المشترك	23
البرنامج النّوويّ.. هل يحمي البلاد من مخاطرِ الانشطار..؟	27
العودة.. والعقم السّياسيّ العربيّ	31
انقلاب النِّيجر.. هل تكون اللّيلة أفضل من البارحة..؟	35
العرب.. هل عادت أوراقُهم الرّابحة..؟	39
بعد الدّرس.. هل يستيقظُ العرب..؟	43
السّفينة.. هل يقودها السّودان..؟	47
قمة سِرت والجِوار وأردوغان..؟	51
موسمُ الهجرة إلى السّودان	55
العراق.. بين الغاية والوسيلة..	59
قَرْقِيزْيَا.. ما أشبه اللّيلة بالبارحة	63
إيران.. واللّعب مع الكبار..	67
فرصةٌ عربيةٌ للأمريكيين.. كم تدوم..؟	71

إنّه دور طالبان باكستان	75
بين الهنود الحُمْر والمدنيّين الأفغان..	79
بريطانيا.. الأقرب إلى أفغانستان	83
تركيا وأكرادُها.. متى تنتهي المهزلة..؟	87
استراتيجيّة أَوبَامَا.. بداية النّهاية	91
السّودان على مفترق الطّرق..	95
مرحبًا بالانقسام الفلسطينيّ..!!!	99
أَوبَامَا والامتحان الأوّل..	103
إنجاز فلسطينيّ في البيت الأبيض..؟؟	107
تركيا بين القِبْلَتَيْن..	111
السّودان.. الحرب والسلام	115
نحو واشنطن.. ما الجديد..؟؟	119

صدر للمؤلّف:

- دَنْدَنَات ثَوْرِيّة
- قضايا سُوفيّة
- الفرعونيّة.. تجليّات مُعَاصِرة
- دَنْدَنَات في الإحساس والتّفاؤل والتّغيير
- دَنْدَنَات ديمقراطيّة
- ذكريات ومواقف

في انتظار الطّبع:

- قضايا دوليّة
- قضايا عربيّة
- قضايا وطنيّة

تحت الاعداد:

- ومضات تنمويّة
- من الجَّدَيْدَة والرَّدَيِّف إلى الأَلْزَاس واللُّورِين.. مجموعة قصصيّة
- النُّوّار.. مجموعة قصصيّة
- من أربع عواصم.. يوميّات وذكريات
- من أروع القصص

2010

Political Thoughts

By

Tahir Amara Ladghem

SAMI

Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

First edition

September 2021 AD

safar 1443 AH

إنّها مقالاتٌ ظهرت إلى النُّور عام 2010...
تأمّلاتُ وخواطرُ مواطنٍ جزائريّ ينظرُ إلى العالَم من حوله، ومن ثمّ ينشرُ كلماته..
المقالاتُ كما هي، وأسعى دائما لأظلّ أنا، وأعبّرُ عن نفسي من خلال قلمي في ذلك الزّمان والمكان، والملابسات والظّروف ودرجة الوعي والمتابعة المتاحة.
ولا أحبُّ أبدًا ذلك النّوع من السّطو أو الادّعاء، عندما (يُظْهِرُ البعضُ الحكمةَ بأثرٍ رجعيّ)..

سامي
للطباعة والنشر والتوزيع
تصميم